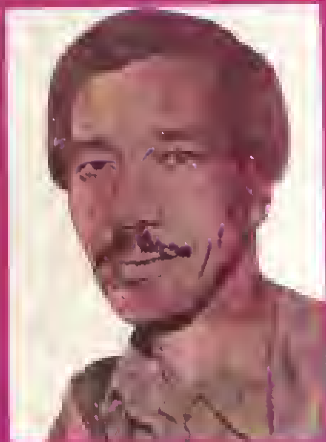


أمل دنقل

الشيخ محمد الشريف عيسى الكاظمي



www.egyptsons.com

أهل دنقل

الأخوال الشريفة الطاهرة

مكتبة مدبولي
القاهرة

الدكتور / عبدالعزيز المقالح

« أمل دنقل . . أحاديث وذكريات »

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

١٩٨٧ هـ - ١٩٨٧ م

لم تكن وفاة أمل دنقل مفاجأة لأحد من الأدباء في الوطن العربي . فقد كان كثير منهم يعيشون على أعصابهم قلقاً وانتظاراً لإعلان نبأ الوفاة ، فمنذ ثلاثة أعوام والشاعر الكبير بنعذب وينساقط فطرة فطرة وييضاً نبضاً ، وكان واضحاً بعد اكتشاف نوع الداء الذي انتبأ أظافره في الجسد النحيل أنه لن يبرح حتى يسلمه للموت ، وأنه لا أمل في العلم ، وأن أقصى ما يقدمه للإنسان العاجز لا يزيد عن تأخير ساعة الوفاة أو إطالة أيام العذاب !!

ومن الملاحظ - ألاحظ ذلك في نفسي - أنه بالرغم

من أن وفاة الشاعر الكبير لم تكن مفاجأة إلا أن إعلانها المتأخر قد هز المشاعر وكان بمثابة صدمة عنيفة لأصدقاء الشاعر ومحبيه أفقدتهم القدرة على الكتابة الشعرية أو الثوبة على حد سواء ، وبما أنني أحد أصدقاء أمل دنقل واحد الذين رافقوه وفرأوه عن قرب ، فقد أفقدني النبأ المتوقع القدرة على التفكير والغدرة على الإمساك بخيوط التعبير عن ألم الوداع ، واكتفيت بماسنرجاع بعض الأحاديث والنقاط صور بعض الذكريات الغارقة في فاع الذاكرة ، وبعض هذه الأحاديث والذكريات يعود إلى أيام قليلة وبعضها الآخر يرجع إلى سنوات ، فقد عرفت الشاعر الراحل في أواخر السنين وقبل أن يظهر ديوانه الأول الذي شغل به الشعراء . وقد ربطت بيننا - منذ أول لقاء - مودة كبرت مع الأيام واتسعت في رحاب الكلمة وزاد تغديره له وإعجابي به عندما أصبح شعره كله صوتاً مكرساً لفضبة الشعب العربي في مصر . وبما أن الأحاديث والذكريات عن أمل دنقل الصديق والشاعر - كثيرة وحاضرة بكل وفائدها ورموزها فإنني سأحاول اختيار أفضلها

وأقربها إلى الوجدان العام - ولأن النهاية دائماً هي الأقرب وهي في حد ذاتها الذاكرة التي لا نغشى فلنأخذ سنبدأ من النهاية .

الحديث الأخير :

حدثني صديق كان في القاهرة منذ أسابيع فقال : ذهبت إلى المستشفى الذي يرفد فيه الصديق المشترك أمل دنقل ، دخلت الجناح الذي يقيم فيه ، وسألت إحدى الممرضات عنه فأشارت بيدها نحو غرفة معينة ، ففتح الباب ونظرت داخل الغرفة باحثاً عن أمل الذي ودعته منذ خمس سنوات ، لم أجده هناك رأيت إنساناً لا يمكن أن يكون هو الشخص الذي أعرفه عدت أدراجي بعد أن أغلقت الباب ورائي وذهبت مرة أخرى إلى الممرضة لأسأله عن غرفة أمل دنقل الشاعر ، فأشارت مرة أخرى إلى نفس الغرفة ، وعدت لأفتح الباب وأفتش في جوائب الغرفة عن أمل فلم أجده وهممت بالتراجع مرة ثانية إلا أن أمل عرفني فناداني باسمي . صوته هو الذي لم يتغير ، أما

جسمه فقد صار شيئاً آخر ، أي عذاب رهيب يفوق الخيال هذا الذي تعرض له الشاعر ؟ هكذا سألت نفسي وأنا أنوجه نحو السرير الذي يرفد عليه ، وكنت قد قررت أن أمالك وأن لا يبدو على وجهي أي نأثر أو انفعال بشري في نفسه ، ، الألم ، الأأني ، ما كدت أراه بتلك الحال حتى انفجرت باكياً ، لكنه قابل بكائي بانسامة عريضة ثم سألتني : لماذا تبكي ؟ اتخاف علي من الموت إنها منيبي المفضلة ، إنه الأمل الأخير ، الطبيب الذي يتفوق دائماً على أمهر الأطباء . . وواصل انسامته المتكررة ، ولأحظت أن فدواً كبيراً من الشجاعة ظل بثبع من ملامح وجهه الغائر . .

ومضيت مع الصديق تنجاذب أطراف الحديث وتذكر أمل دنفل القديم ، سنوات العذاب الطويل ، أيام التسكع والجوع ، خلال الفترة التي اشتدت فيها وطأة الفهر والظلم والفقر والمطاردة على أمل دنفل قبل أن نشد عليه وطأة المرض الغائل . قال لي الصديق الذي لن أذكر اسمه بسبب الفترة الناعلة من الحديث : لقد كنت في

القاهرة منذ سبع سنوات ، رابت حلاها أمل دنفل أكثر من مرة وذات يوم رأيته كالعادة بذراع الطرفات بحثاً عن صديق يدفع له ثمن الغداء . وعندما رأيته نوجه نحوي قائلاً : نصف جنبه ، نصف جنبه فقط ثمن الغداء .

وعندما كنت معه في المستشفى منذ أسابيع مددت يدي إلى جيبتي وأخرجت خمسمائة جنيهه وقدمتها إليه في خجل ، ضحك أمل دنفل من نصري غير المهذب ، وقال لي : اطو أوراك با أخني فلم أعد بحاجة إليها ، كنت منذ سنوات كما تذكر بحاجة إلى ورقة واحدة منها ، وكانت ورقة واحدة تكفي لسعدتي يوماً أو أكثر أما الآن فلا قيمة لها عندي ، إن ما في العالم من هذه الأوراق لا سز شعرة في جفتي ، ولا يخفف ألم دقبة واحدة من عذابي الطويل المرير !!

أطباف ذكرى :

كان قد نشر عدداً غير قليل من القصائد حين النفت به لأول مرة ، لكنه لم يكن قد أصبح مشهوراً ،

وكان وثيق الصلة بشاعرين من أكبر شعراء القصيدة الجديدة في مصر هما : صلاح عبدالصبور وأحمد عبدالمعطي حجازي ، وكانت علاقته بالآخر وتأثره بشعره أوضح وأصرح . وفي الأعوام الأولى التي تعرفت فيها على أمل ابتداء من عام ١٩٦٦ كان أكثر النصارى بحجازي وأكثر تأثراً وتقليداً لطريقته في الحياة قبل أن يصبر له أسلوبه الخاص وحبائه المطفلة التي زادت الظروف في تعنيدها وزادت في الوقت ذاته من عفويتها .

وكانت هزيمة حزيران ٦٧ بداية الانعطاف الخفيفة نحو الشهرة ونحو الشعر ، وليس في هذا ما عيس بعقيدة الشاعر من قريب فقد كرست المآسي العظيمة الشعراء العظام ، ومأساة فلسطين هي التي خلقت وكرست أهم شعرائنا أمثال : محمود درويش وسميح القاسم وغيرهما ، وفي الأيام الأولى للنكسة أو الهزيمة كان أمل دنقل يقرأ قصيدة (زرقاء) قبل النشر وهي قصيدة جريئة أكدت خطراته على طربق الشعر ، وكانت عنواناً لأهم دواوينه (البكاء بين يدي زرقاء البمامة) كنت يومئذ بجواره ،

حد تحذيره عن مجرد التلطف بها حتى لا يتاله الأذى ، لكنه لم يتردد وسارع في نشرها وجعلها بعد ذلك عنواناً لديوانه الأول ، كما قرأها في أكثر من منتدى شعري وفي أكثر من ملتقى أحوي . . وفي مائتة من عام ٦٧ وإلى أوائل السبعينات كانت القصيدة على كل لسان ، فليس قبلها قصيدة وليس بعدها قصيدة نالت ما نالته من الشهرة والذوب ، فقد انبسط بالجرح القومي الأكبر ، وكانت تعبيراً عميقاً وصادقاً عن موقف عنزة (الشعب العربي) الذي تركه الحكام في صحراء الإهمال بسوق النوف إلى المرعى ويجنل الأغانم ويجرح أحلام الخصبان حتى إذا ما اشتدت الحرب وأعلنت المعركة ذهبوا إليه يستنصرهون فيه روح الحمية ويدعونه إلى الدفاع عن قصورهم المضادة بالمرات واللوان الترف .

كانت القصيدة شجاعة وجارحة ، وقد وضعت الأدب الحزبي من أول يوم في موضعه الصحيح قبل أن

بجاول بعض الشعراء والكتاب أن يجعلوا منه شيئاً آخر ،
فقد حاول أمل دنقل ونجح في أن يجعل منه أدب مقاومة ،
مقاومة للأخطاء النابعة من الداخل ، ومقاومة للعدوان
القادم من الخارج ، أدب مجالدة ونجد لا أدب استسلام
ولطم حدود ويكاه عاجز على اللبن المراق في صيف
التعاسة والانكسار !! وكان لا بد لعنترة (الشعب العربي)
أن يثبت بالدليل القاطع غيابه النام عن المعركة التي دارت
بين السلطة التي لا يشك في وطنيتها وفي غرورها وبين
العدو الذي لا يشك في خطره وغطرسه وتنامي أطماعه :

أبها النبى المقدسة ..

لا تسكني .. فقد سكنت سنة فسنة ..

لكي أنال فضلة الأمان

فيل لي « أخرس .. »

فخرست .. وعميت .. واتتممت بالخصبان

ظللت في عبيد (عيس) أخرس القطعان

اجز صوفها ..

أرد نوفها ..

أنام في حظائر النسبان

طعامي : الكسرة .. والماء .. وبعض الثمرات البائسة

وها أنا في ساعة الطعان ..

ساعة أن نخاذل الكماة .. والرماة .. والفرسان ..

دعبت للمبدان

أنا الذي ما ذقت لحم الضان ..

أنا الذي لا حول لي أو شان ..

أنا الذي افصمت عن مجالس الفنان ،

أدعى إلى الموت .. ولم أدع إلى المجالمة ..

نكلمي أبها النبى المقدسة ..

نكلمي .. نكلمي ..

فها أنا على التراب سائل دمي

وهو ظمئ .. بطلب المزيد ..

أسائل الصمت الذى يجنقني .

« ما للجسمال مشيها وثبدا .. !؟ »

(ديوان البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ص ٢٨ دار
العودة) .

ولم يقف الشاعر عند حدود هذه الشكوى ولا عند
حدود هذه التساؤلات الفاضحة لما حدث في صبيحة
الخماس من يونيو ، وهو لا يكتفي باستدعاء زرقاء اليمامة
ولكنه في قصيدة أخرى كتبها في الذكرى الأولى لمناخ الهزيمة
يستدعي المتنبي ويجري بينه وبين كافور حواراً ساخراً حول
مصر - خولة - الفتاة العربية التي اختطفها الرومان من
- أريحا - بعد أن ذبحوا شفيقها :

رسائي كافور عن حزني

فقلت إنها نعيش الآن في بيزنطة

شريدة . . كالقطعة

نصيح (كافوراء . . كافوراء)

فصاح في غلامه أن بشنري جارية رومبة

تجد كي نصيح (واروماء . . واروماء) .

لكي يكون العين بالعين

والسن بالسن . . !

ويصل الانفعال مداه ، كما تصل الشجاعة أيضاً
مداها في محاولته الجريئة فضح القيادة العسكرية المهلهلة ،
وقد استخدم عنصر التضمين الشعري كأقوى وأجود ما
يكون الاستخدام وأصبحت الأبيات المضمنة أكثر التحاماً
وتداخلاً في بناء القصيدة وفي إعطائها الدلالة الرمزية
التأريخية وليس كما فعل ويفعل بعض شعراء الفصيدة
الجديدة الذين يقومون بما يشبه عملية (اللتصق واللفظ)
حيث بظل أسلوب التضمين سطحيًا وناشئاً عن السياق
الفني والنفسي ، وقد رأينا في المثال الأول كيف نجح في
دمج البيت الشهير (ما للجمال مشيها وعبداً) ولتر الآن
كيف ومتى ولماذا ، جاء أبيات المتنبي في آخر قصيدته
الغاضبة « من مذكرات المتنبي في مصر » وهي في رأيي من
معالم شعر ما بعد حزيران :

نسألني جاريبي ان اكنزي للبيت حراسا
فقد طغى اللصوص في مصر .. بلا رادع
فقلت : هذا سبقي الفاطم
ضعبه خلف الباب .. مناسا
(ما حاجني للسيف مشهورا
ما دمت قد جاورت كافورا ؟)
« عبد بأية حال عدت يا عبد ؟

بما مضى ؟ أم لأرضي فيك نهوبد ؟
(نامت نواظر مصر) عن عساكرها
وحاربت بدلا منها الأناشيد
نادبت يا نبيل هل تجري المياه دما
لكي نقبض ، ويصحو الأهل إن نودوا ؟
« عبد بأية حال عدت يا عبد ؟

لقد حقق أمل دنقل بفصائده الجريئة عن النكسة
وآثارها شهرة واسعة ، ونحفظ له من النجاح في عام واحد

م لم ينحرف له في سبع سنوات هي عمر كل محاولاته
لشعرية السابعة . كان الطريق إلى الشعر قبل ذلك طويلاً
ومشاقاً أما الآن فقد صار أقصر مما كان يظن وإن كان ما
يزال أشق مما كان يتوقع وذلك بسبب الاصرار على الجنوح
إلى كتابة الشعر اللاذع ، وبسبب اختياره الطريق التبيل
والصعب ، طريق اشعال الحرائق في وجدان الجماهير
النائمة المهزومة ، تلك الجماهير التي كانوا وما يزالون
يتحدثون عنها في الفصائد وفي الخطابات وفي الصحف كما
يتحدثون عن فتراته التجارب وأرانب المعامل ولكن دون
إحساس حقيقي بما نعاني ولعل أهم ميزة يتميز بها شاعر
كبير كأمل دنقل أنه لم يكن يخاف من شيء أو يخاف على
شيء وقد ساعدته عفوية المتطرفة وطبيعته غير المنضبطة
على الاحتفاظ بنقاته وتمرده ..

أطباء حديث :

بعد ثلاثة أعوام تقريباً من وقوع الهزيمة التي مزقت

حياة العرب المعاصرين وشوهت معالم الأيام العربية ،
 وحل المناضل جمال عبدالناصر ، وكانت وفاته أو بالأصح
 كان غيابه عن الساحة العربية في مثل تلك الظروف
 الفاجعة هزيمة أخرى ، وبعد رحيل عبدالناصر بأربعين
 يوماً التقى الشعراء العرب من مختلف الأقطار العربية
 لتأبين الزعيم الراحل وفي الاستراحة الجانبية للقاعة
 الكبرى للاتحاد الاشتراكي ، كان عدد من الشعراء والنقاد
 يقطعون الوقت في انتظار لحظة افتتاح الاحتفال التأسيسي ،
 وكنت قد أخذت لي مكاناً بينهم ، وكان أمل دنقل قد
 اختار مكاناً قصباً في الاستراحة وحيداً وبعيداً عن
 الآخرين ، كان يبدو متوتراً ، بكثير من التدخين وكأنه
 يلتهم السجائر التهاماً وبين حين وآخر ينظر إلى السقف
 كأنما يحاول اختراجه بنظراته الحادة . قال أحد الحاضرين
 لعله يعاني من حالة شعربة وربما كان متوحداً لأن قصيدة
 الرثاء لم تكتمل بعد ، وقال آخر ربما أن أحد الحاضرين قد
 حاول الاساءة إليه فابتعد مؤقتاً ليلدد شحنة الغضب ثم
 يعود إلينا ليملاً المكان بملاحظاتة وضحكاته (وقصائده)

المختلفة ، وانطلق صوت شاعر شاب بقول : إن أمل
 يعاني من حالة حزن حقيقي لغيباب عبدالناصر ، فقد كان
 الرجل بالرغم من كل شيء الحارس الأمين للكلمة
 والشعرية منها خاصة . واستغر الحديث بعد أن جال وتغل
 في مبادئ شئ حول عبدالناصر وكيف كان يتعامل مع
 الأدباء بطريقة تختلف تماماً عن تعامله مع السياسيين
 وينحسب ذلك التعامل على الأدباء الملنزمين أو
 المنسبين . وقد نال الشعراء بخاصة طوال عهده حظوة
 كبيرة وشملهم برعاية خاصة ، فهو لا يسمح للأجهزة
 بمصادرة أعمالهم الأدبية أو يمنعهم عن النشر والسفر ، ولم
 يكن يسمح للصحافة في مصر أن تتناول بالاساءة أباً من
 شعراء العرب الذين يختلفون مع النظام الناصري . حدث
 ذلك مع سليمان العيسى ، ومع الجواهري ، ومع
 البياتي ، ومع القنوري ، ونزار قباني ، وقد اشتهر لكل
 هؤلاء قصيدة أو أكثر في مهاجمة شخص عبدالناصر
 بالذات وقد ظلت القاهرة مفتوحة لهم بعد موافقهم ، كما

كانت قبل ذلك ، وقد ظهر في وقت متأخر من حياة
عبد الناصر بعض المشاعرين الذين حاولوا من منطلق
المنافسة غير المتكافئة الاساءة والنشويہ المتعمد لأدوار
ومواف بعض الشعراء خارج مصر مما اضطر عبد الناصر
نفسه إلى أن يتدخل ويضع حداً لهذه الظاهرة المعادية
للشعر والشعراء .

كان عبد الناصر - إذن - بحسه الثوري يدرك أن
الشاعر الحزبي في مصر أو في بقية الأفطار العربية بشكل
طاقة حدسي واكتشاف خلافة فالشاعر ليس كزرقاء العمامة
ترى الأشياء عن بعد ولكنه يرى الأشياء والأحداث بعين
بصيرته الشعرية ويتنبأ بها قبل وقوعها وقد نشر الشعراء في
مصر قصائد تنبأت بالنكسة ونهت إلى ما حدث قبل أن
يحدث ، ونشرت الأهرام في ما تذكر قصيدة للشاعر محمد
إبراهيم أبو سنة قبل النكسة بأسابيع وكان عنوان القصيدة
(نحن غزاة مدينتنا) وكأنما كانت نقرأ ما سوف يحدث في
صحائف مكنوية من قبل .

يكتب .. لا بدرون
أن كل واحد من الماشين
به . صلاح الدين .

كان الليل داكناً مكتئباً حين رجعنا من حفل
تأبين ، وكانت الأضواء الصفراء في الميادين والطرفات قد
رنت اصفراراً وشحوباً . وكان زميلنا الذي يفود سيارته
وتمسح غلا عينه بردد الفسم الذي أطلقه أمل دنقل ،
وكان مثله مجلم بعودة سيناء ويسقوط النجمة السادسة من
دف حائط المبكى إلى التراب . . .

« امل دنقل وانشودة البساطة في الشعر »

كان وصف (الشاعر الصعلوك) يتردد كثيراً في الأوساط الأدبية المصرية كلما ذكر امل دنقل وكثيراً ما قيل هذا الوصف بحضوره فيضحك ويعتبر هذا الوصف أو اللقب إذا جاز أنه كذلك ، يعتبره شعبة كريمة لشاعر معاصر بنأى بنفسه عن الافتداء بالشعراء المدجنين شعراء الحواضر والصالونات المعطرة والبذلات الأنثقة والسبارات الفارغة . كان واحداً من موكب جليل للشعراء الصعلوك المعاصرين الذين يرغبون عن عالم المغربات المختلف وأن يظلوا خفافاً نظافاً لا تأسرهم زينة الحياة الدنيا ولا تشدهم إلا بمقدار ما تمكنهم معطياتها الصغيرة من الكتابة والابداع .

ومن حسن حظ الشعر العربي في مصر وفي بقية الأقطار العربية أن الشعراء الحفبيين لم يرتفع بهم شعرهم تروبالأصح لم ينخفض بهم إلى مستوى البذخ المادي والترف . خياني ، وقد أثبت الشعر على مر العصور بما في ذلك عصر الحديث أنه كفى بأن لا يلفن أسرار العميقة ولا يضع ناره المقدسة إلا في النفوس الزاهدة والقلوب البرية من النطلعات المربضة ، وقد ظلت تلك هي أبرز سمات الشعراء الحفبيين جبلاً بعد جبل فلم تطوح بهم الرغبات الخاصة وتدفع بهم بعيداً إلى سراديب مضادة نصرفهم عن الشعر ونصرفهم عن الناس ، وإن كان قد حدث غير ذلك فهو امتثناء عن القاعدة والاستثناء كما يقول المناطقة لا يعول عليه ولا يؤخذ به .

وقد كانت الصورة الشائعة عن امل دنقل هي صورة الشاعر الصعلوك ، لكنه كان صورة فريدة في صعلكته وفي محافظته على تقاليد الصعلكة الشعرية بثوبها المعاصر ، وقد سمعت من يحاول أن يقاوم بينه وبين الشاعر المرحوم

عبد الحميد الديب الذي هزت أخبار يؤسه الثلاثينات
والأربعينات وحفلت المقاهي والمستديات في تلك الفترة
بأحاديث يؤسه ويمطارحاته وأهاجبه المتنوعة ، إلا أن
الفارق بين الشاعرين كبير والفارق بين الصعلكتين أكبر ،
صحيح أن البؤس الذي عانى منه الشاعران كلاهما متشابه
ويكاد يكون واحداً إلا أن بؤس الأول ذاتي وناتج عن هم
شديد إلى الحبة في حين أن بؤس الآخر عام وناتج عن
زهدي في الحياة ، ولو أن الشاعر الأول وجد الأبواب
الواسعة إلى التعميم كما وجدها الثاني لما تردد عن دخولها غير
هاب ولا متحرج وهذا الفارق الأخير يكفي لمعرفة ما بين
الشاعرين من تباين واختلاف وفضلاً عن هذا وذلك فإن
أمل دنقل شاعر يمثل مرحلة اجتماعية مختلفة كل
الاختلاف عن المرحلة التي ظهر فيها عبد الحميد الديب
والمهموم التي حاول التعبير عنها تختلف كذلك عن هموم
المراحل السابقة كلها .

لقد انفق أمل دنقل ساعات كثيرة من حياته في

تفاهي - كما فعل عبد الحميد الديب تماماً لكن أحاديث
تفاهي اختلفت والقصد من ارتياد المقهى اختلف أيضاً ،
الغضبنة التي تؤرق أمل دنقل ما كانت لتخطر على ذهن
عبد الحميد الديب ، وإذا كانت قد خطرت على ذهنه فيقدر
كبير من الغموض ، وإذا كنت قد أشورت في ما سبق من
حديث الذكريات فإن شريطاً طويلاً حافلاً بالذكريات التي
تسواكب من قاع الأيام الراحلة ، ولعل أكثرها بروزاً
ووضوحاً صورة أمل دنقل في بيته أو بالأصح في إحدى
الشقق الكثيرة التي استأجرها الواحدة بعد الأخرى لتكون
مقراً للنوم . كانت واحدة منها شقة أرضية من غرفتين في
ميدان المعجزة استأجرها لفترة وعاش فيها مع زميله
الصديق الشاعر حسن توفيق ، وقد زرعتها في هذه الشقة
عشرات المرات رافقي في معظم تلك الزيارات الصديق
الشاعر محمد الشرفي أثناء عمله في سفارتنا بالقاهرة ، وقد
اعتدنا أن نذهب إلى الشقة قبيل الغروب ، وفي كل مرة
كنا نرى أمل دنقل إما نائماً أو مشغولاً بإعداد طعام الغداء

مع زميله ، وكنا نقضي فترة انتظارهما للطعام في حديث
عن الشعر والأدب وفي فراة بعض الفصائد وكان الغذاء
متواضعاً في كل يوم ولا يزيد عن البطاطس وأرغفة الخبز
وبعض الأوراق الخضراء . وكثيراً ما امضينا الساعات
الطويلة بعد أن يتناول الشعراء البائسان غداءهما أو
عشاءهما في أحاديث أدبية ، وفي معظم الأحيان كنا ننوجه
إلى دار الأدباء أو إلى منزل الصديق محمد الشرقي لقضاء
سهرة أدبية لا تقتصر على أمل وزميلة ، إذ غالباً ما ينضم
إليها صلاح عبدالصبور وأحمد عبدالمعطي حجازي وغيرهما
من الأدباء والشعراء الكبار الذين يضيئون الليالي
بأحاديث الفكر والأدب ويروايع الشعر ، ولعل الفترة التي
قضناها أمل دنقل في شقة ميدان العجوزة أسوأ فترات
حياته وأحفظها بالمتاعب وانتفاء الاستقرار وقد وصل الحال
به وزميلة الشاعر حسن توفيق إلى أن يبادلا إرنداء قميص
واحد في الحفلات والسهرات ولعدة أشهر ، فإذا خرج
احدهما انظر الآخر في المنزل حتى يعود زميله ، والغريب

بـ بالرغم من ذلك الحال وربما بسببه فقد كانت تلك
سنوات هي أخطر وأهم سنوات الانتاج الشعري وأهم
سنوات المواجهة الحادة بالكلمة ، وفي هذه الفترة كتب أمل
هم قصائده وأجملها واكتسب شهرة فائقة ففزت به من بين
تعداد الشباب إلى مستوى صلاح عبدالصبور وأحمد
عبدالمعطي حجازي إن لم تكن قد تجاوزت به هذين
شاعرين الكبارين . وكانت قصيدته (أغنية الكعكة
خجرية) حدثاً في تاريخ الشعر السياسي في مصر وفي
شعر العربي بأجمعه ، وقد كتبها وسط مظاهرات الطلاب
ومصادماتهم الشهيرة مع شرطة النظام في عام ١٩٧٢ م
ومنها هذا المقطع الذي يخاطب الشاعر فيه مصر التي
ارتعشت بومثد من خلال مظاهرات الطلاب وتلعلل
الشعب :

اذكري ١١

فقد لوتني العناوين

في الصحف الخائنة

لوتني لأنني منذ الهزيمة لا لون لي

غير لون الضباغ

فيلها كنت افراً في صفحة الرمل

والرمل أصبح كالعملة الصعبة

الرمل أصبح أبسطه تحت اقدام جيش الدفاع !

فاذكريني ، كما تذكرين المهرب والمطرب العاطفي . .

وكتاب العقيد . . . وزينة رأس السنة

اذكريني إذا نسيتني شهود العيان

ومضبطة البرلمان

وفائنة النهم المعلقة

الوداع !

الوداع !

(من ديوان العهد الآني) .

أنشودة البساطة :

كان أمل دنفل شاعر البساطة في زمن التعقيد

والغموض ، وأول ما بلغت الانبياء في فصائده البساطة

الحادة المصفولة التي تتحول إلى أنشودة مقرطة التواضع

« وأنشودة البساطة » تعبير حديث أطلقه بين شباب الكتاب

و شعراء الكاتب الفنان يحيى حني ، والبساطة عند ذلك

شيخ الوقور .. كما فهمها جبل أمل دنفل .. لا تعني النمرود

عن النواعد اللغوية او الخروج على الأسس الفنية للكتابة ،

ولا تعني الرفة والتبسط ، إنما تعني ثقلية التناول أو عفوية

تعبير ، والابتعاد عن خشونة اللفظ إلى خشونة المعنى ،

وتحويل العمل الأدبي من شعر لا يفهم محتواه سوى نفر

فيس من الكتاب . . إلى أنشودة جماعية وإلى لغة فن

ووجدان . ومن السهل جداً أن يتبع المتلقي فضلاً عن

لدارس تجربة أمل دنفل الشعرية وأن يبين ملامح الفراءة

في هذه التجربة التي تختلف عن تجربة الآخرين من زملائه

ومن الشعراء الذين سبقوه وقد ظلت تجربته متميزة منذ

البداية الصحيحة إلى أن توفقت مع الوفاة . وكانت

بساطته في التناول تجعله يرى أن الفرار من المباشرة لا يعني

الفرار من المحيط المباشر للمواقع ، ولا تعني الفرار من

مواجهة العذاب الانساني والحروب والدمار والتشويه ،

وهذا الموقف جعله لا يقسم كبير وزن لما يسمى بالألفاظ

الشعرية ، أو بالمعاني المعقدة ، وهو في نثره القليل الذي
 تضمنته مقابلاته المنشورة في الصحف والمجلات لا يكف
 عن الهجوم السافر الحاد على كثير من شعراء القصيدة
 « المتجاوزة » وهو يرى أن معظم النجاء يقف عند دائرة
 اللغة وحدها وعند الشكل وحده وهو يعتقد أن ذلك
 الصنع لا يزيده عن كونه نوعاً من الهروب عن مواجهة
 الواقع « ولأن فقدان الثقة عند الشاعر في تغيير هذا الواقع
 قد أدى به إلى أنواع من استجلاب وسائل فنية في ظل
 حضارة مختلفة ومحاولة فرضها على المجتمع الثقافي -
 العربي ، ومن هنا تحول الشعر الحديث إلى شعر مثقفين ،
 في حين أن وظيفته الأساسية هي في ارتباطه بالناس . وقد
 كان انتصار الشعر الجديد منذ البداية راجعاً إلى ارتباطه
 بالناس ، وتحياويلهم بالنالي معه ، وتخليهم عن الشكل
 القديم . . وما يؤدي إليه هذا التجاوز الحديث عن
 المطلقات . . ومن هنا فإن هذا التجاوز للواقع يحتاج إلى
 تجاوز للطرائق الفنية التي ينم بها التعبير عن هذا الواقع ،
 واستحداث طرائق بديلة واستجلاب لمذاهب فنية ، أو

خوه إلى الايهام بمحاولة تغيب الواقع أو الايهام بالثورة عن
 طريق ثورة شكلية فقط . . الشعر لا يلفن أسرار
 لعمة ولا يضع ناره المقدسة إلا في النفوس الواجدة وفي
 القلوب البريئة من التطلعات المريضة « أي تكون الثورة
 على مستوى الشكل فقط .
 » ندوة مجلة فصول عن قضايا الشعر المعاصر المجلد
 الأول العدد الرابع يوليو ١٩٨١ م .

ومهما يكن نصيب وجهة النظر هذه من الخطأ أو
 الصواب فإن وراءها موقف شاعر كبير يدرك أنه خارج من
 احزان أمة كبيرة أسيرة اخطبوط خطير هائل من المعاناة
 والمشاكل ولا بد من أن تحس بالخطر الذي يهددها ،
 ومهمة الشاعر بالذات أن يوصل هذا الاحساس إلى وعي
 الأمة وأن لا تتحول قصائده إلى مفردات فاموسية مجردة عن
 أي معنى أو إلى معان مطلقة نسعى إلى تخدير الوعي وامانة
 الحواس بدلاً من ايفاضها ، وفي مرحلة الهوان والانحطاط
 كالمرحلة التي نعيشها الآن لا بد أن ينخل الشاعر عن

الوقوف في دائرة الأحلام الذاتية وقبل أن يحاول التحرر من القوالب المينة أو التي براها كذلك عليه أن يتجنب الوقوع في ما هو أخطر من هذه القوالب كالشكلية وتزييف الواقع ، تلك هي بساطة أمل دنقل التي جعلت من شعره صوتاً عبقياً وبسيطاً ، ومن المهم قبل ذلك وبعد ذلك أن نعلم أنه هو نفسه قد كان انشودة عن البساطة والتواضع .

تمجيد التمرد في زمن الخنوع :

فضية الاساءة إلى الشعراء وتكفيرهم ومحاولة الانتقام من كبارهم تحت مختلف الادعاءات ، فضية شغلت الجانب الأكبر من تأريخ الشعر العربي ، ولم يسلم في الماضي من نعمة الزندقة والاختاد سوى صغار الشعراء ومن لا وزن لهم في الحياة والشعر على السواء . وقد شغلت هذه القضية عدداً من الباحثين ، وقد تلقبت منذ وقت قصير رسالة من باحث صديق تشغله القضية وبعد عنها رسالة دكتوراه ، بعكف عليها منذ خمسة أعوام . وقد لخص الهدف الذي يسعى إليه من دراسته بمحاولة التعرف

على الأسباب الكامنة وراء محنة الشعراء ولماذا الشعراء ماتت ، وقد رأى من خلال البحث الموضوعي القائل عن النزاهة والصراحة - وهو يكتب الشعر - رأى أن كثير من النهم التي توجهت نحو الشعراء قد كانت موجهة في الوقت ذاته نحو الفلاسفة ورجال الدين وأصحاب مذاهب والمثلكلمين ولكنها كانت مع الشعراء - عب معصور - أكثر حدة فلم تذبح التهم الكبيرة فلبسوفاً وإنما ذهبت إلى قتل رجل دين لكنها قتلت كبار الشعراء ، لماذا هذا هو السؤال الذي يبحث صديقي في رسالته للدكتوراه عن الاجابة عليه وهو ينلمسه عند عدد من الشعراء لأحباء وعند بعض الأدباء الذين نؤرقهم المحنة التي سحبت إلى عصرنا من سلبيات العصور القديمة .

تذكرت محنة الشعراء هذه الأيام وأنا أعيش ذكريات محنة صديقي الشاعر أمل دنقل فقد عانى بالإضافة إلى محنة تحقير والتشرد وإلى محنة القمع والارهاب محنة التكفير نعم محنة التكفير ، وكانت قصيدته « كلمات سبارناكوس

الآخيرة « واحدة من القصائد التي وضعها » زعماء محاكم التفتيش « على مشرحة التكفير ، والقصيدة تدعو إلى التمرد ضد الطغيان وتمجد دور العبد سبارتاكوس الذي امتشق السيف في وجه العبودية وفي وجه روما العابثة بتساقية الانسان ومطلع القصيدة وهو الأكثر إثارة يقول :

المجد للشيطان . . معبود الرياح

من قال (لا) في وجه من قالوا (نعم)

من علم الانسان تمزيق العدم

من قال (لا) . . قلم يمت ،

وظل روحاً أيدية الألم !

المجد هنا ، ليس للشيطان (ابليس) ولكنّه للشيطان (سبارتاكوس) ذلك العبد الشجاع الذي اشتاقت نفسه للحرية فقال (لا) في وجه (القيصر) وكانت النتيجة أن اسمه قتل على كل لسان وظلت روحه الأبدية الألم تزرع الشجاعة في نفوس العبيد وتدفع بهم إلى الصفوف الأولى من المواجهة ، وقد قهّم صغار العقول في

محكم التفتيش المعاصرة أن الشاعر يجد ابليس وأنه بذلك قد تخبر ، وأن دمه قد صار حلالاً . وقد حاول صغار العقول هؤلاء أن يصلوا بصرخاتهم الحاقدة إلى (أهل حل والمقد) إلا أن الصرخات ضاعت في أرض مصر برسمه الأرجاء ، وظلت تتردد همساً في دهاليز الكراهية بأن أن رحل الشاعر عن عالم الحقد والطغيان وأخذ الله إلى حوارهِ الرحيم الكريم .

لقد كتب الشاعر قصيدته في الاسكندرية وفي شارع الاسكندر الأكبر وهو يتذكر الجموع الفقيرة الفقيرة وهي تسير في الشوارع محتبة الظهور مثقلة الأعتاق كقطيع الأغنام : لا صوت يرتفع بكلمة (لا) الكلمة السائدة والشائعة هي (نعم) مصحوبة بالنسبة المبروقة (٩٩،٩٩) تذكر الشاعر كل ذلك فكتب قصيدته التي حاول فيها أن يعلم الجماهير العربية المضطهدة أن تقول (لا) حتى وإن كانت العاقبة لا تختلف كثيراً عن عاقبة ذلك الثائر المعلق في مشقة على مدخل المدينة الظلمة :

معلق أنا على مشائق الصباح

وجبهتي - بالموت - مخيبة

لأنني لم أحنها .. حية

.....

با اخوتي الذين يعبرون في الميدان مطرفين

منحدرين في نهاية المساء

في شارع الاسكندر الأكبر :

لا تخجلوا .. ولترفعوا عيونكم إلي

لأنكم معلقون جانبي .. على مشائق الفبصر ..

فلترفعوا عيونكم إلي

لربما .. إذا التفت عيونكم بالموت في عيني

ينسم الفناء داخلي ..

لأنكم رفعتهم رأسكم مرة .

وبعد أن ظهرت آلام المرض العنيف روح الشاعر

الكبير وجسده الهزيل ، وعندما رحل إلى جوار وبه الغفور

الرحيم لا أشك في أنه قد غفر لخصومه من أنصار محاكم

منبش ودعاة التكفير ولكن هل اعتذر له هؤلاء هل
ولوا أن يستغفروا لذنبهم الكبير ، ذنب اتهام المبدعين
بقتل المواهب ؟ كان الشاعر متهاً منذ كان منبش
بيلة وصوت احزانها ، ورجال الدين بنهمونه بالنجديف
الحاد .. ورجال السلطة بنهمونه بالخروج على النظام
عظيم الاستفزاز الموهوم ومن سوء حظ الشاعر الحقبني
العصر الحديث أن النهم الفديمة لم تنعبر ولم تتطور
برأت العصر ونظوراته .. في مواجهة جدار البأس
أحباط

آه .. ما أفسى الجدار

عندما ينهض في وجه الشروق

ربما نشف كل العمر .. كي نثقب ثغره

لنبر النور للأجيال مره !

.....

ربما لو لم يكن هذا الجدار ..

ما عرفنا قيمة الضوء الطلبن .. !

وضع امل دنقل هذا المقطع الصغير افتتاحية لديوانه الاول (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) ولاختيار هذا المقطع وللحرص على أن يتصدر فاتحة الديوان (البداية) لذلك كله مغزى خطير يلخص بمرآة خيبة الأمل والشعور بالعجز ازاء مختلف اشكال الاحباط في الواقع العربي المعاصر .

وصورة هذا الجدار الذي ينهض في وجه الشروق الخاص وفي وجه الشروق العام ليسد التور ويمنع كل ومضة امل . . صورة هذا الجدار تعكس منذ البداية الشعور اليائس المحيط ، ولكنها في الوقت ذاته تكشف عن استعداد شجاع وجريء لمواجهة هذا الجدار ومحاربة التغلب عليه ، وكأني بالشاعر في بداية حياته يشعر بوعورة الطريق واتساع السافة لكن تفلأل الشباب جعله وهو يقترب من الجدار يشعر بالزهو لأن الجدار يعطي لحياته قيمة ويعطيها معنى ، قلأى معنى لحياة لا معاناة فيها ولا مكابدة ، حتى

(سيزيف) ذلك البطل الأسطوري المحكوم عليه بحمل الصخرة إلى القمة لكي تعود إلى القاع ثم يعود هو إلى حملها من جديد إلى القمة في رحلة عذاب لا تنتهي بين القاع والقمة (سيزيف) هذا أي معنى لحياته التافهة المكرورة إن خلت من هذا العذاب المقضي الرتيب . وأي عذاب للسان بدون هذا الجدار الذي يحاول بجهده الانساني أن يفتح عليه ثغرة للنور ، نور المعرفة والتغيير إلى الأفضل والأجمل والأبقى . . وإذا كان الشاعر الكبير امل دنقل قد ظل يحقر في الجدار ورحل قبل أن يتدفق شلاله للنور المنتظر فإن كلماته ستظل تواصل الحفر والطرق على وجه إيجدار الواقع في وجه الشروق إلى أن ينهدم الجدار ويتدفق انهاراً من الاشواء ، فمن غير المعقول أن تظل الأرض العربية تترف دماً . وان يظل ابنائوها هكذا حيارى يقتربهم الارهاب وتتقاذفهم الموم إلى نهاية العالم .

أخيراً أي شعور حزين يعت
بالكلمات شاعراً عظيماً عاش
وللوطن . وأي احساس فاجع ؛
نكتب بالكلمات كل يوم سوى رثا
ابناء هذا الوطن ولأروع ما
ونقاء

الدكتور عبا

مقتل القمر

الإهداء

إلى الاسكندرية
ستوات الصبا

تحسُّ حبال عبتك
 بشيءٍ داخلٍ يبكي
 تحسُّ خطيئة الماضي نعتت بين كتبتك
 وعنفوداً من التفاح في عنبين خضراوين
 أنسى رحلة الآثام في عبتين فردوسين ؟
 وحتى أين ؟
 تعذّبنى خطيئاتي .. بعيداً عن مواعيدك
 ومحرفنى اشتعائى قريباً من عناقيدك !
 وفي صدرى
 صبي أحمر الأظفار والماضى
 يخطط في نراب الروح ،
 في أنفاس أنفاسى !
 وأنظر نحو عبتك

فترعشني طهارة حب
ونفرقني اختلاجه هذب
والمح — من خلال الموج — وجه الرب
بؤنبي

على نيران أنفاسي يغلبني
وأطرق ...

والصراع المر في جوى يعليني !!

... ..

أحرق في خطوط نصيف في شفتيك :

يموى داخل الحرامان
(لبيب آدمي الشوق ، مصباحان يرعشان)
وأهرب نحو عينيك :

يطالعني الندى والله والغفران !
وأسقط بين نهديك
لنحرق الروى

وأغرق فيهما بالنار والشك
فستوى رغبتي شبا
وأغمض عنك عينا

وأسند رأسي المفلوح في صدرك
فقد ترمذ الأفكار في جهرك
وأحرق جنة المأوى

... ..

فبا ذات العيون الخضر
دعي عينيك مغمضتين فوق السر
.. لأصبح حر !!

طفلتها

(.. مرت خمس سنوات على الوداع .. رأى طفلها)

لأنفري من بدى مخنبة
.. نجت النار بحروف المدفأة !
أنا ..

(لوندوين)
من كنت له طفله

لولا زمان فجأه
كان فى كفى ما ضيعه
فى وعود الكلمات المرجأه
كان فى جنبى
لم أدر به !

.. أو بدرى البحر قدر اللؤلؤة ؟

حريت عمر ضائع من شبلى
حروب المخطئة
كبرت بعام
حريت مهجنى عاماً
ووقت صداه
.. تحمل من الماضى
سوى ذكريات فى الأسى مهتره
حرى بالدجى
.. لهجى للذى ضل منه ..
كحه !!

• • •

حيث الواسعات المائدة
والشفاة الحلوة المنقلة :
هذه طفلة
ذكريها

وهي عن سبعة عشر منية

إنني أعرفها

فاقترني

فكلانا في طريق أخطاه

سافني حمفي

وفي حلفي مرارة شوق

وأمان صدته

فابسمي باطفلي

(منذ مضت ... وابتهامات الضحى منطفئة)

ثرثرى

(صونك موسيقى حكمت صونها ذا الثبرات المدفئة)

— « إحلّ لي أحبة »

— لم يبق في جعني

غير الحكايا السيفة

فاسمعي يا ابني مسرعة

عبرت فيها اللبالي .. مبطة

.....

« كان يا ما كان »

.. يك فتى

.. يك بيت إلا .. ميداه

حده دت ثغر يشفي قبلة الشمس

جوز ضماه

حص حب بها ؟ فاستسلمت

.. في الحب به ؟ فاستمرأه

.. فـ صعدت مركبه

صحى

في قصة مبتدئة

.. هو في شرفته مرغوب

.. هي في شياكها .. منكفة

حده منقسم

لا بتي حلم

لا وحلم بداه

صعدا

سمة ..

سلمة ..

في فصوص الأمنيات المنشأة
لم تكن غملك إلا طهرها
لم يكن بملك إلا مبدأه

• • •

ذات يوم
كان أن شاهدها
من له أن يشتري نصف امرأة
حينما أوما لها مينسماً
فأشاحت عه
كالمنهزئة
اشترها في الدجى
صاغرة
زفت السبعة عشر .. للمنة
لم يكن شاعرهما فارسها
لم يكن بملك إلا ..
النهضة

لم يكن بملك إلا مبدأه
ليس إلا ..
كلمات مطفأة

• • •

أترى ندرين من كان القنى ؟
فهو بدرى الآن
بدرى خطأه !
والتي بيعت وفي معصمها الوشم
فاعناد القواد الطأطأة ؟!
ومن الخاس ؟
هل ندرينه ؟
وهو ملأح تناسى مرفأه
اننى أكرهه
بكرهه ضوء مصباح نبيل أطفأه
غير أن الحقد ..
(يا طفله)

وأنت يا حبيبي
طير على سفر

• • •

ويرحل المطر
وبذبل الشجر
وبغمر الغبار النفوش والصور
... ..

ونهبط الأحزان
فنمحي الألوان
والقلب
والخطوط العرجاء
والأسمان
وننخر السوس القديم في العبدان
وترحل الطيور الزرق
بلا عنوان
نسأل عن هواننا
نسأل عما كان

.. ما كان يا حبيبي
حلم ؛ وقد عبر !

• • •

وينزل المطر
ويرحل المطر
وينزل المطر
ويرحل المطر
والقلب يا حبيبي
ما زال ينتظر

فلي .. والعيون الخضراء

- ١ -

صبياً كان

شدت على يديه الفوس

أعلمه الرماية

(كى يفوق بفة الأفران)

« فلما اشتد ساعده .. »

.....

ثلاث سنين

أبارز فلي المفتون

بجمع بيننا ليل ، ويفصلنا نهار قتال

نظل على — خلف لثامه — عيان خضراوان

(كأورد في تلون بطن ركة عانس عجفاء)

وقبلا .. كانتا في وجه قدبسة ١

• • •

ثلاث سنين

بنازلتي ، أنازله

مات ساخن ، وغبار

حرف على الفم المزموم ،

ثم يرين فوق العشب والأسوار

وكان الفخ قرب الباب

سقطت ملوث الرمتين والأثواب

أشاحت عنى العبنان

وكنت نراب

وكان بدير لي كتفه في استهزاء

.. ونعرف أنت

ماذا يفعل المغلوب مثلي

حين يوليه العدو الظهر ١

وفي كفى بفأيا سهم

.....

• • •

وطفلاً كنت ، كالأطفال

ومركبة من الكلمات تحملني لعرش الشمس

وفلدى الهوى سيفه :

« إلى ذات العيون الخضراء »

وكوكبة من الربات مصطفة

« إلى ذات العيون الخضراء »

وقريتنا — وراء العين — تورا من الصمت

وثرثرة من الغدران

وصوت الطبل

بدق لينزع القمر القديم نفاه المعقل

وطفل شاحب ينهض

تزغرد نسوة لحنانه المدسوس في جلبابه الأبيض

وفوق الجسر

غلام لاهث يعدو

لبسك مهرة فرت وفي سيفانها يتعلق القيد

... ..

ومركبتي تشد الأفق مخروطة الدرب

« إلى ذات العيون الخضر »

قلال السحب مهرب من ورائي كومة .. كومة

وأنسام تضم عباقي بأنامل الرحمة

ومن ضمه

إلى ضمه

تسمننا قلاع الحب والحكمة

ولكننا على الأبواب

أطل نتوء

(كأنف قد نورم فوق وجه العازف السكير)

على العجلات مد لسانه الموبوء

تفاوت فيه مركبتي

فعد باصاحب الكلمات

كأسياخ الحديد توهجت في النار

تمر على عبونك أحرف الكلمات

« هوأنا مات »

نهاوينا

بلغنا قمة القمة

نهبط في انحدار الجانب الآخر

ومن عثره إلى عثره

نلفانا تراب الأرض في راحاته البرة

ودارت فهو الموق

رأيت يديك هذا اليوم

معطرتين ، ناعمتين

ولكنني رأيت على أظافرك الدم الملم

وفي المجرى الذي ينساب في النهدين

مددت بك قبل النوم

عمرت على حطام الخنجر المسموم
والقفاز !!

يا وجهها

.. نلتقى .. سهوا

.. ففعلك

.. جنوا

..

حتى سبته : شدوا

.. من أهدك ؟

سحر عي شفة الصبا .. لغوا

..

.. كج أعوى

.. عني الدماء والجلوى

.. سر نبت سمائك الشجوا

.. مرتعدك

..

جبه أعذك

الصفيف فيك بعائن الصحوا
عيناك ترتعبان في أرجوحة
والنفر مرنعش بلا مأوى
وعذابه : ملوى
إن جئت أنفض عنه الشكوى
* * *

عبدالملك نرتخبان في أرجوحة

والشجر مرنعش بلا مأوى

وعذابہ : ملوی

إن جئت أنفض عنه الشكوى

● ● ●

في الليل افنتدك

فَنَضِيءٌ إِلَى قَسَمَانِكَ النُّشْوَى

نأتى خجول البوح مزهوا

وعلى نزار الشوفي استئنافك

وأحس في وجهي لظى الأناس

حين بلفنى رغدك !

وَأَنام !

تَحْمِلْنِي رُؤَاكَ لِنَجْمَةِ فَصْوَى

نرفق الخطوا

فحكى ، فأرشف همسك الرخوا

وبهزنی صحوی .. فافتدك

لکن بلا جدوی

بلا جدوی !

۱- لا تفر
 ۲- لا تفر
 ۳- لا تفر
 ۴- لا تفر

في مذهب السلفي

— لا نفی

—

41

حيث حوا

۱۔ فضل

من فضلك

مقتل القمر !

.. ومخافوا النبا الأليم على بريد الشمس

في كل المدينة :

« قتل القمر ! »

شهوده مصلوباً ندلى رأسه فوق الشجر !

نهب اللصوص فلادة الماس الثمينة

من صدره !

نركوه في الأعواد ،

كالأسطورة السوداء في عيني ضريب

ويقول جاري :

« كان قديساً ، لماذا يقتلونه ؟ »

وتقول جارنا الصبية :

« كان يعجبه غنائى في المساء

وكان يهيني فوارير العطور

قبأى ذنب يقتلونه ؟

هل شاهدوه عند نافذتى — قبل الفجر — يصغى للغناء ..

سمعت من كل العيون

— أصحاح القمر

.. مات .. مات !

من أحدى النى غلرت به

سمع ..

سنت ؟

.. ..

صمت

حبه على عينيه ..

يرف من فارفوه !

حبه من باب المدينة

ص

.. قربتنا أبوكم مات

.. قتله أبناء المدينة

.. عليه دموع إخوة يوسف

.. حُفُو

تركوه فوق شوارع الأسفلت والدم والضيعة
يا اخوتي : هذا أبوكم مات !

— ماذا ؟ لا .. أبونا لا يموت

بالأمس طول الليل كان هنا

بنفس لنا حكايته الحزينة !

— يا اخوتي بيدي هاتين احتضنته

أسبلت جفنيه على عينيه حتى تدفنيه !

فألوا : كفك ، اصممت

فأنتك لست ندري ما نقول

قلت : الحقيقة ما أقول

قالوا : انتظر

لم نبق إلا بضع ساعات ..

وبأني !

• • •

حط المساء

وأطل من فوق القمر

منألق البسمات ، ماسى النظر

— يا اخوتي هذا أبوكم ما يزال هنا

فمن هو ذلك الملفى على أرض المدبنة ؟

فألوا : غريب

ظنه الناس القمر

قتلوه ، ثم بكوا عليه

ورددوا « قتل القمر »

لكن أبونا لا يموت

أبدأ أبونا لا يموت !

شيء يحترق

شيء في قلبي يحترق
إذ يمضي الوقت .. فنفترق
ولمعد الأيدي
بجمعها حب
وتفرقها .. طرف
..
.. ولأنت جوارى ضاحكة
وأنا بجوارك ، مرتفق
وحدثك بفزله مرح
والوجه .. حديث منسق
نرتحن جفونا
أغرفها سحر
فطفا فيها الفرق
وشبابك حان جبلي
أرذ ، وغدير ينشق

وبيد دهمي وحدي
مصطليح منه ومعتق
ونفوس بقلبي نسوته
ندفني فيك .. فنلتصق
وأمد يدين معريدتين
فتوبك في كفي ..
مزق
وذراعك يلتف
ونهر من أقصى الغابة يندفن
وأضملك
شفة في شفة
فيغيب الكون ، وينطبق
.....
ونحوت النار
فترقبها
بجفون حار بها الأرق
عجلى !
وشلمهك ذائبة
ولمشارك نشوى نندلق

ونعود نثرثر

كبحيرات هادئة

غطاها الورق

ويمر الوقت فلا ندري

ويقيم محافله الشفق

وندف الساعة معلنة

فهب بنا صحو فلق

ويجبن وداع

وفنى

وأراه كحللم بنسحق

يرند الصمت لموضعه

وبعود إلى الأذن الخلق

ونمد الأبدى

راغمة

نشباكى العنب

ونترلق !

وأحس بشيء فى صدرى

شئ .. كالفرحة

بحرق !

فالت

فالت : تعال إلى

واصعد ذلك الدرج الصغير

قلت : الفيود نشدنى

والخطو مضنى لا يسير

مهما بلغت فلست أبلغ ما بلغت

وقد أخور

درج صغير

غير أن طريقه .. بلا مصير

فدعى مكالى للأسى

وامضى الى غدك الأمير

فالعمر أفصر من طموحى

والأسى قتل الغدا

• • •

فالت : سأنزل

قلت : يا معبودى لا تنزلى لى

قالت : سأنزل

قلت : خطوك منه في المستحيل

ما نحن ملتصقان

ورغم نوحه الأمل النبيل

... ..

نزلت ندى على السكون

رنين نافوس ثقبيل

وعيوننا منشاكلات في أسى الماضي الطويل

تخطو إلى

وخطوها ما ضل يوماً عن سبيل

وبكى العناق

ولم أجد إلا الصدى

إلا الصدى

ماريا

ماريا : يا ساقية المشرب

الليلة عيد

لكننا نخفى جمرات التنبه !

صلى الشوة نخياً .. نخياً

صلى عبا

قد جئنا الليلة من أجلك

لريح العمر المنشرد خلف شعاع الغيب المهلك

في ظل الأهداب الإغريقية !

ما أحلى اسرعة حزن في ظلك

في ظل الهدب الأسود

.....

— ماذا يا ماريا ؟

— الناس هنا كالناس هنالك في اليونان

بسطاء العيشة ، عجبون

— لا يا ماريا

اناس هنا — في المدن الكبرى — ساعات

١ تتخلف

٢ تتوقف

٣ تنصرف

آلات ، آلات ، آلات

كفى يا ماريًا

نحن نريد حديثاً نرشف منه السيان !

.....

ماذا يا سيده البهجة ؟

العام القادم في بيتي زوجة !؟

قد ضاعت يا ماريًا من كنت أود

ماتت في حفن آخر

لكن ما فائدة الذكرى

ما جدوى الحزن المفعد

نحن جميعاً نحجب ضوء الشمس ونهرب

كفى يا ماريًا

نحن نريد حديثاً نرشف منه النسيان

.....

فولي يا ماريًا

أوما كنت زماناً طفلة

يلقى الشعر على جبينها ظله

من أول رجل دخل الحـة واستلقى فوق الشطآن

علقت في جبينه من ليلك خصلة

فضّ الثغر بأول فيلة

أوما غنيت لأول حبّ

غنينا يا ماريًا

أغنية من سواك الحب العذب

.....

.....

.....

ما أحلى النغمة

لنكاد نترجم معناها كلمة .. كلمة

غنيا ثانية .. غني

(أوف .

لا تتجهم

ما دمت جوارى ، فلتبسم

بين يديك وجودى كنز الحب

عيناى اللبل .. ووجهى النور

شفنای نبیذ معصور
صدری جنتک الموعودة
وفراعی و ساد الرب
فنیسم للحب ، نيسم
لا تنجهم
لا تنجهم)

.....

ما دمت جوارک يا ماربا لن أنجهم
حتى لو كنت الآن شيئاً كان
فأنا مثلك كنت صغيراً
أرفع عيني نحو الشمس كثيراً
لكنني منذ هجرت بلادی
والأشواق
تمضيني ، وعرفتُ الأطراف
مثلك منذ هجرت بلادك
وأنا أشتاق
أن أرجع يوماً ما للشمس
أن يورق في جذني قبضان الأمس

.....

فولی يا ماربا
العام الفادم بیصر کل منا أمله
کی أرجع طفلاً .. ونعودی طفلة
لكننا الليلة محرومون
صبي أشجانك نجياً .. نجياً
صبي حياً
فأنا ورفاقی
قد جئنا الليلة من أجلک !

استرجعي

استرجعي

ليس للدور بقية

انتهت كل فصول المسرحية

فامسحي زيف المساحيق

ولا نرندى تلك المسوح المربجة

واكشفي البسمة عما تحنها

من حنين .. واشتهاء .. وخطية

كنت يوماً فتته قدسيتها

كنت يوماً

ظماً للقلب .. وربه

. . .

لم نكفني أبداً لى

إنما كنت للحب الذى من ستين

فطفت التفاحتين الخلونين

ثم ألقى

يفابا الفشرنين

وبكى فليك حزناً

فقدنا دمعاً حمراء

بين الرئين

وأنا ؟ فلبى منديل هوى

جفقت عيناك فيه دمعين

ومحت فيه طلاء الشفتين

ولونه ..

فى ارتعاشات البدن

كان ماضيك جداراً فاصلاً بيننا

كان ضللاً شبحية

فاسترجعي

لبس للدور بقية

أيها نحن جلسنا

ارنسمت صورة الآخر فى الركن الفصى

كنت نخشين من اللعنة

أن تمحى لمسته فى راحنى

وأحاديثك فى الهمس معى

إنما كانت إليه ..

لا إلى

فاسترجعي الآن

لم يبق سوى حيرة السير على المفترق

كيف أفصيك عن النار

وفي صدرك الرغبة أن تخترق ؟

كيف أدنيتك من النهر

وفي قلبك الخوف وذكرى الغرق ؟

أنا أحبيتك حقاً

إنما لست أدري

أنا .. أم أنت الضحية ؟

فاسترجعي ، ليس للدور بقية

العار الذي نتقيه

هذا الذي يجادلون فيه

فولي لهم من أمه ، ومن أبوه

أنا وأنت ..

حين أنجينا ألبنا فوق فم الجبال كي يموت !

لكنه ما مات .

عاد إلينا عنقوان ذكريات

لم تجترى أن نرفع العيون نحوه

لم تجترى أن نرفع العيون

نحو عارنا المبت

• • •

ها طفلنا أمامنا غريب

نرشفه العيون والظنون بازدائها

ونحن لا نجيب

(وربما لو لم يكن من دنا

كنا مددنا نحوه البدا

لكنه .. ما زال يقطع الدروب

يقطع الدروب

وفي عبوتنا الأسى المريب

• • •

« أوديب » عاد باحثاً عن اللذين ألقياه للردى

نحن اللذان ألقياه للردى

وهذه المرة لن نضيقه

ولن نتركه بنوه

نادبه

فولى انك أمه التى ضنت عليه بالدفء

وباليسمة والحليب

فولى له أفى أبوه

(هل بفتلتى ؟) أنا أبوه

ما عاد عاراً ننفيه

العار : أن نموت دون ضمة

من طفلنا الحبيب

من طفلنا « أوديب »

رسالة من الشمال

بعمى .. من الشوك .. مخشوشين

يعرق من الصيف لم يسكن

بنجوبف حب ، به كاهن

له زمن .. صامت الأرغن :

أعيش هنا

لا هنا ، إننى

جهلٌ بكينوننى مسكنى

غدى : عالم ضل عنى الطريق

مسالكه للسدى تتحنى

علاماته .. كاتشبال الوضوء

على دنس منن .. منن

نفع السواسن سم العطور

فأكفر بالعطر والسوسن

وأفصد وهمى .. لأمتصه

فبمتصنى الوهم ، بمتصنى ..

ملاكى : أنا فى شمال الشمال
 أعيش .. ككأسى بلا مدمن
 ترد الذباب انظاراً ، ونحسو
 جهود موالدها الخون
 غريب الخطايا ، بقايا الحكايا
 من الليل لليل نسلنى
 أرش ابنسامنى على كل وجه
 نوسد فى دهنه اللبن
 وبجرحنى الضوء فى كل ليل
 مرير الخطى ، صامت ، محزن
 سربت به — كالشعاع الضعيل —
 الى حبث لا عابر ينثنى
 هى اسكندرية بعد المساء
 شنائبة القلب والمحضن
 شوارعها غاويات المدى
 سوى : حارسى فى لا بعثى
 ودورة كليين كى ينسلا
 ورائحة الشبنق المزمز
 ملاكى .. ملاكى .. نساعل عنك

اغتراب النفر فى مسكنى
 سفحت لك اللحن عبر المدى
 طريفاً الى المبدأ ردى
 وعبك : فيروزتان نضبان
 فى خاتم الله .. كالأعين
 غدان لى فى المغيب الجناح
 مدى ، خلف خلف المدى الممعن
 سألتها فى صلاة الغروب
 عن الحب ، والموت ، والممكن
 ولم تذكر لى سوى خلجى
 من الهدب قلت لها : هبمنى !
 هوى له الشمس تنهده
 الى اليوم بالموت لم تؤمن
 وكانت لنا خلوة ، إن غدا
 لها الخوف أصبح فى مأمن
 مفاعدها ما نزال النجوم
 نحج الى صممتها المؤمن
 حكبتا لها ، وفرأنا بها
 بصوت على الغيب مستأذن

دنوا ، دنوا فلى جعبتى
حكايات حب سنى ، سنى
صقلت به الشمس حنى غدث
مرايا مساء لتزيتى
وصفت لك النجم عقداً من
الماس شع على صدرك المفتى
أردتك قبل وجود الوجود
وجوداً لتخليده لم أن
تغربت عنك ، لحيث الحياة
مناجم حلم بلا معدن
ودورة كليين كى ينسلا
ورائحة الشبق المزمين

ملاكى : ترى ما يزال الجنوب
مشارك للصيف لم تعلن
ضممت لصدري نصاويرنا
نصاوير تبكى على المفتى
سأقى إليك أبحر المسير
خطى فى تصلبها المذعن

سأقى إليك كسيف تحطم
فى كف فارسه المشخن
سأقى إليك نحيلاً .. نحيلاً
كخيط من الحزن لم يحزن
. . .
أنا قادم من شمال الشمال
لعينين — فى موطنى — موطنى !

أوتوجراف

لن أكتب حرفاً فيه

فالكلمة — إن نكتب — لا نكتب

من أجل الترفه

(والأوتوجراف الصامت تهمل الكلمات عليه ،
نحيه

ولنطرز كل مثابه !

ماضيك

— وماضي الأوتوجراف —

بفايا شوقي مشبوه

بصمات الذكرى فيك ، وفيه

وخطي العشاق المحمومة أدمت كل دوالبه

لكنني أطرّد كل ذباب الماضي عن باي

فدعبه

غيري فد بصيح سطرّاً من ورق

يقبله من بجهله أو من يدريه

غيري فد ينهش نابوتاً هراق اللون

نمغن خدافيه

لكنني أطرّد كل ذباب الذكرى

عن غدى المشدوه

عن ثوبى ، وطعامى ، وفراشى

عن خطوة نبهى

.....

با أصغر من كلماني

لن أكتب فيه

فخطي العشاق المحمومة أدمت كل دوالبه !

انتظري !

ما اسمك ؟

يا ذات العيون الخضراء والشعر النرى
أشبهت في نظوري .

(يوجهك المدور)

حبيبة أذكرها .. أكثر من تذكرى

يا صورة لها على المرأة ، لم تنكسر

حبيبتى — منلك —

لم نشبه جميع البشر

عيونها حدائق حافلة بالصوير

أبصرتها اليوم بعينيك

اللتين صبنا في عُمري ..

طفولة .. منذ اتزان الخطو لم تنحصر

• • •

يا ظل صبغ أحضرك

نظوري

كم أشهر وأشهر

مرت ولستنا نلتقى

مرت .. ولم نخضوضر

الماس في مناجى

مشوه النبلور

والذكريات في دمي

عاصفة النحر

كرفضة نارية من قنات العجري

.....

لكننى حين رأيت الآن صورة لها

في مهجري

أيفنت أن ماسنا ما زال

حى الجواهر

وأنا سلتقى ..

رغم رباح الفدر

وأنتى في فمك المستنضحك المسنبر

أغنية للقمر

أغنية ترفض فيها الفرويات

• • •

يا ظل صيف أبخضر

نصوري

كم أشهر وأشهر

مغترباً عن العيون الخضر والشعر الثرى

العينان الخضراوان

العينان الخضراوان

مروحتان

في أروقة الصيف الخزان

أغنيبتان مسافتان

أبحرنا من ناهات الرعبان

بعير حمان

عراء من آهة النور إلى مدن الأحزان

سنتان

وأنا أهني زورق حب

مجنّد عليه من الشوقي شراعان

كي أبحر في العينين الصافيتين

إلى جزر المرجان

ما أحلى أن يضطرب الموج فيبسدل الجفنان

وأنا أبحث عن مجداف

عن إيمان !

• • •

Petit Terianor

(الملهى الصغير)

لم يعد يذكرنا حنى المكان !
كيف هنا عنده ؟
والأمس هان ؟
قد دخلنا ..
لم نُشر مائدة نخونا !
لم يستضفتنا المقعدان !!
الجليسان غريبان
فما بيننا إلا . ظلال الشمعدان !
أنظري ؛
قهوتنا باردة
ويدانا — حولها — نرنعشان
وجهك الغارق فى أصباغه
وجهى الغارق فى سحب الدخان
رُسمًا

فى صمت « الكاتدرائيات » الوسمان
صور « للعذراء » المسيلة الأجفان
با من أرضعت الحب صلاة الغفران
وغطى فى عينيك المسيلتين
شباب الحرمان
رُدَى جفتيك
لأبصر فى عينيك الألوان
أما خضراوان
كعبون حبيبي ؟
كعبون يحمر فيها البحر بلا شطآن
يسأل عن حب
عن ذكرى
عن نسيان !
قلبي حران ، حران
والعبتان الخضراوان
مروحتان !

(ما ابنسما !)
في لوحة خاتت الرمام فيها ..
لمسنان !!
تُسدل الأستار في المسرح
فلنضيء الأنوار
إن الوقت حان
أمن الحكمة أن نبهى ؟
سندى !!

قد خسرنا فرسبنا في الرمان !
قد خسرنا فرسبنا في الرمان
مالنا شوط مع الأحلام
ثان !!
نحن كنا ها هنا يوماً
وكان

وهج النور علينا مهرجان
يوم أن كنا صغاراً
تمنطى صهوة الموج
إلى شط الأمان
كنت طفلاً لا يعنى الهوى

وأحاسبك مرخاة العنان
قطعة مخمضة العينين
في دمك البكر لبيب القوران
عامنا السادس عشر ؛
رغبة في الشرايين
وأعواد لدان
ها هنا كل صباح نلتقى
بيننا مائدة
نندى .. حنان
قدمائنا نخنها نعتفان
ويدانا فوقها نشبكان
إن نكلمت ؛
نرئمت بما همسته الشفتان الحلوان
وإذا ما قلت ؛
أصغت طلعة حلوة
وابنسمت غمازان !
أكتب الشعر لنجواك
(وإن كان شعراً بغيائى البان)
كان جمهورى عيناك !

إذا فلتة : صففتنا بنسيمان

ولكن بنصحنا الأهل

فلا نصحبهم غرّ

ولا الموعد هان

لم نكن نخشى إذا ما نلتقى

غير ألا نلتقى في كل آن

ليس ينهائى تأنيب أفى

لبس تنهاك عصا من خيزران !!

الجنون البكر ولّى

وانتهت سنة من عمرنا

أو .. سننان

وكما بهدا عصف النهر

إن قارب البحر

وفاراً .. واتزان

هذا العاصف في أعماقنا

حين أفرغنا من الخمر الدنان

قد بلغنا قمة القمة

هل بعدها إلا .. هبوط العنقوان

اخرقنا ..

(دون أن تغضب)

لا يغضب الحكمة صرث الهذيان

ما الذى جاء بنا الآن ؟

سوى لحظة الجبن من العمر الجبان

لحظة الطفل الذى فى دمنّا

لم يزل يحبو ..

وهكبو ..

فبعان !

لحظة فيها لناهيد الصبا

والصبا عهد إذا عامد : بخان

أمن الحكمة أن نبغى ؟

سدى

قد خسرتنا فرسينا فى الرهان

• • •

قلنا يا أخت فى هذا المكان

كم نناجى ، وناغى عاشقان

ذهبا

ثم ذهبنا

وغداً ..

يتساقى الحب فيه آتجران |
فلندعه لهما
ساقية ..
دار فيها الماء
مادار الزمان !!

الملك، بنى يرنى زرقاء، والشماسة

آه .. ما أفسى الجدار
عندما ينهض في وجه الشروق .
ربما ننفق كل العمر .. كي ننقب ثغره
لبهر النور للأجبال .. مره !

... ...

ربما لو لم يكن هذا الجدار ..
ما عرفنا قيمة الضوء الطليق !!

إلى « مازن جودت أبو غزالة »
عرفته في سوات السازل .
« رجل مع » العاصفة » .

للوهلة الأولى

فراث في عنبه بومنه الذى يموت فيه .
رأبته في صحراء « الثقب » مفتولا ..
منكفئاً .. يخرز فيها شغبه ،

وهى لا تردُّ قبله .. لفيه !

نتوه في القاهرة العجوز ، نسي الزمنا

نقلت من ضجيج سبارتها ، وأغنيات المنسولين
نظّلنا محطة المنرو مع المساء .. متعين .

وكان يبكى وطننا .. وكنت أبكى وطننا

فيكى إلى أن تنضب الأشعار

نسألها : أين خطوط النار ؟

وهل تُرى الرصاصه الأولى هناك .. أم هنا ؟

• • •

والآن .. ها أنا

أظل طول الليل لا يذوق جفنى وسنا

أنظر في ساعتى الملقاة في جوارى

حتى غميء . عابراً من نقط التفتيش والحصار

تنسج الدائرة الحمراء في فميصك الأبيض ، نبكى شج

من بعد أن نكسرت في « الثقب » رابتك !

نسألكي : « أين رصاصتك ؟ »

« أين رصاصتك »

ثم نغيب : طائرأ .. جربجا

نضرب أفقك الفسبحا

نسقط في ظلال الضفة الأخرى ، ونرجو كفنا !

وحين بأنى الصبح — في المذباع — بالبشائر

أزيع عن نافذتى السنائر ،

فلا أراك .. !

أسقط في عارى . بلا حراك

اسأل إن كانت هنا الرصاصه الأولى ؟

أم أنها هناك ؟ ؟

كلمات سبارتكونس الأخيرة

(مزج أول) :

المجد للشيطان .. معبود الرباح

من قال « لا » في وجه من قالوا « نعم »

من علم الانسان غريق العدم

من قال « لا » .. فلم يمت ،

وظل روحاً أبدية الألم !

(مزج ثان) :

معلق أنا على مشائق الصباح

وجيئى - بالموت - محبة

لأننى لم أحنها .. حية !

...

يا اخوانى الذين يعبرون في الميدان مطرفين

منحدرين في نهاية المساء

في شارع الاسكندر الكبير ..

لا نخجلوا .. ولترفعوا عيونكم الى

لأنكم معلقون جانبي .. على مشائق القبصر .

فلترفعوا عيونكم الى

لربما .. إذا النقت عيونكم بالموت في غبى :

ينسم الفناء داخل .. لأنكم رفعتم رأسكم .. مرة !

« سيزيف » لم نعد على أكتاف الصخرة

يحملها الذين يولدون في مخادع الرقيق .

والبحر .. كالصحراء .. لا يروى العطش

لأن من يقول « لا » لا يرنوى إلا من الدموع !

.. فلترفعوا عيونكم للثائر المنشوق

فسوف ننهون مثله .. غدا .

وقبلوا زوجاتكم .. هنا .. على فارعة الطريق

فسوف ننهون ها هنا .. غدا .

فالانحناء مر ..

والعنكبوت فوق أعناق الرجال بنسج الردى

فقبلوا زوجاتكم .. إلى نركت زوجتى بلا وداع

وإن رأيتم طفلي الذي نركته على ذراعها بلا ذراع
فعلّموه الانحناء !
علّموه الانحناء !

الله . لم يغفر خطيئة الشيطان حين قال لا !
والودعاء الطيبون ..

هم الذين يهربون الأرض في نهاية المدى
لأنهم .. لا يشفون !
فعلّموه الانحناء .

وليس ثم من مفر .
لا تحلموا بعالم سعيد

فخلف كل فيصر بموت : فيصر جديد !
وحلف كل ناثر بموت : أحزان بلا جدوى ..

ودمعة مدى !

(مزج ثالث) :

بافصر العظم : فد أخطأت .. إلى أعرف

دعني — على مشفتي — ألتئم بذك

ها أنذا أقبل الحبل الذي في عنقي بلف

فهو بذاك ، وهو مجذك الذي يجبرنا أن نعبك
دعني أكفر عن خطيئتي

أمنحك — بعد مينتي — جمجمتي
نصوغ منها لك كأساً لشرابك القوي
.. فان فعلت ما أريد :

إن بسألك مرة عن دمي الشهيد
وهل تُرى منحتني « الوجود » كي نسلبي « الوجود »
فقل لهم : فد مات .. غير حافد علي
وهذه الكأس — التي كانت عظامها جمجمة —
ونبة الغفران لي .

باقايل : إني صفحت عنك ..

في اللحظة التي اسرحت بعدها مني :
اسرحت منك !

لكنتي .. أوصبك إن تشأ شئت الجميع
أن نرحم الشجر !

لا تقطع الجذوع كي تصيبها مشائنا
لا نقطع الجذوع

فرمبا بأنى الربيع

« والعالمُ عالمُ جوع »

فلن تشم في الفروع .. نكهة الثمر !

ورمبا بمز في بلادنا الصبف الحظير

فتقطع الصحراء . باحثاً عن الظلال

فلا نرى سوى المجير والرمال والمجير والرمال

والظمأ التارى في الضلوع !

ياسد الشواهد البيضاء في الدجى ..

بافبر الصقيع !

(مزج رابع) :

ياأخوى الذين يعبرون في الميدان في انحناء

منحدرين في نهاية المساء

لا تخلموا بعالم سعيد ..

فخلف كل قبصر يموت : قبصر جديد .

وإن رأيتم في الطريق « هانيال »

فأخبروه أننى انتظرته مدى على أبواب « روما » المجهدة

وأنظرت شيوخ روما — تحت قوس النصر — قاهر الأبطال

ونسوة الرومان بين الزينة المعرّبة

ظللن ينتظرن مقدم الجنود ..

ذوى الرعوس الأطلسية المجددة

لكن « هانيال » ما جاءت جنوده المجددة

فأخبروه أننى انتظرته .. انتظرته ..

لكنه لم يأت !

وأننى انتظرته .. حتى انتهت في جهال الموت

وفي المدى : « فرطاجة » بالنار تحترق

« فرطاجة » كانت ضمير الشمس : قد تعلّمت معنى الركوع

والعنكبوت فوق أعناق الرجال

والكلمات تختنق

يا أخوى : فرطاجة العذراء تحترق

فقبلوا زوجانكم ،

إنى تركت زوجنى بلا وداع

وإن رأيتم طفلى الذى تركته على ذراعها .. بلا ذراع

فعلّموه الانحناء ..

عَلِّمُوهُ الْإِخْتَاءَ ..
عَلِّمُوهُ الْإِخْتَاءَ ..

(أبريل ١٩٦٢)

الأرض .. والجرح الذي لا يفتح

الأرض ما زالت ، بأذنها دمّ من فرطها المتزوع ،
فهفهة الصوص نسوق هودجها .. وتركها بلا زاد ،
نشد أصابع العطش الممب على الرمال ،
نضبع صرختها بمحممة الخبول .
الأرض ملقاة على الصحراء .. ظامئة ،
وتلقى الدلو مرات .. ونخرجه بلا ماء !
ونزحف في هلب النبط ..
نسأل عن علوبة نهرها ..
والنهر سمعة المغول
وعيونها غيب من الاعياء ، تنسفي جنوز الشوك ،
تنظّر المصير المر .. يطحنها الذبول
* * *

من أنت يا حارس ؟

ولا بنورعون ، يؤذنون الفجر .. لم ينظروا من رجسهم ،
فالخلق مات !

* * *

هل ثبت الثففى
فناغة المهزوز ؟
فقد مضى غموز ..
بوجهه العربى !

* * *

أحببت فبك المجد والشعراء ..
لكنّ الأذى سرواله من عنكبوت الوهم :
يمشى فى مدائنك الملبى بالذباب
بسفى القلوب عصارة الخدر المنعم ،
والطواويس التى نزع نفاوهم الخوايط ،
أوقفت ساعانها ،
ونجشأت بموائد السفراء ..
تنتظر النباشين النى بسخو بها السلطان ..
فوق أكابر الأغواث منهم !
باسماء :

إلى أنا الحجاج ..
عصبنى بالناج ..
تشربنها الفارس !

* * *

الأرض تطوى فى بساط « النفط » ،
نحملها السفائن نحو « فبصر » كى نكون إذا فتحت
اللفائف :

رقصة .. وهدة للنار فى أرض الخطاة .
دينارها الفصدير مصهور على وجنانها .
رثاها المحلول بسأل عن زناة الترك ،
والسباف يجلبدها ! وماذا ؟ بعد أن فدت بكارنها ..
وصارت حاملاً فى عامها الألفى من ألفين من عشافها !
لا النيل يغسل عارها القاسى .. ولا ماء الفرات !
حتى لزوجة نهرها الدموى ،
والأموى بغى فى طريق النبع :
« .. دون الماء رأسك باحسين .. »
وبعدها بملكوت ، يضاجعون أرامل الشهداء ،

أكل عام : نجمة عريّة نهوى ..

وتدخل نجمة برج البرامك ! ؟

ما تزال مواضع الخصيان باسم الجالسين على الحراب ؟

وأراك .. و ابن تلؤلؤ بين المؤمنين بوجهه الفزحى ..

يسرى بالوفعة فلبك ،

والأنصار واجهة ..

وكل قريش واجهة ..

فمن يهديه للرأى الصواب ؟ !

ملثما بخطو ..

قد شوّهته النار !

هل يصلح العطار

ما أفسد التفط ؟

• • •

لم يبق من شيء يقال .

يا أرض :

هل بلد الرجال ؟

(مايو ١٩٦٦)

البكاء بين يدي زرقاء الجمالة

أيها العرافة المقدسة ..

حسّ إليك .. متخفياً بالطعنات والدماء

أزحف في معاطف القتل ، وفوق الجثث المكذبة

منكسر السيف ، مغبر الجبين والأعضاء .

أسأل بازرقاء ..

عن فمك الباقوت عن ، نبوءة العذراء

عن ساعدي المقطوع .. وهو ما يزال ممسكاً بالراية المنكسرة

عن صور الأطفال في الخوذات .. ملفناً على الصحراء

عن حارثي الذي بهم بارنشاف الماء ..

فثقب الرصاص رأسه .. في لحظة الملامسة !

عن الفم الخشوع بالرمال والدماء !!

أسأل بازرقاء ..

عن وقفتي العزلاء بين السيف .. والجدار !

عن صرخة المرأة بين السبي . والفراق ؟

كجف حملتُ العار ..

ثم مشيتُ ؟ دون أن أفل نفسي ؟ ! دون أن أنهار ؟ !

ودون أن يسقط لحمي .. من غبار التربة المدنسة ؟ !

نكلمني أينما النبية المقدسة

نكلمني .. بالله .. باللغية .. بالشيطان

لا نغمضي عينيك ، فالجردان ..

نلعن من دمي حساءها .. ولا أردّها !

نكلمني ... لشدّ ما أنا مُهان

لا الليل يُخفي عورتي .. ولا الجدران !

ولا اختبائي في الصحيفة التي أشدّها ..

ولا احتبائي في سحائب الدخان !

.. تقفز حولي طفلة واسعة العينين .. عذبة المشاكسة

(— كان يَقصُّ عنك يا صغيرتي .. ونحن في الخنادق

نفنح الأزرار في سمراتنا .. ونسد البنادق

وحين مات عَطشاً في الصحراء المشمسة ..

رطب باسمك الشفاه الباسية ..

وارغمت العنان !)

فأين أخفي وجهي المتهم المدان ؟

والضحكة الطروب : ضحكته ..

والوجه .. والغمازان ؟ !

• • •

ابنها النبية المقدسة ..

لا نسكتي .. ففد سَكَّتْ سَتَّةً فَسَتَّةً ..

لكي أنال فضلة الأمان

قبل لي أحرس ..

فخرست .. وعمت .. واتتممت بالخصيان !

ظللْتُ في عبيد (عبي) أحرس القطعان

أجتز صوفها ..

أردُّ نوفها ..

أنام في حظائر التسيان

طعامي : الكسرة .. والماء .. وبعض التمرات الباسية ..

وها أنا في ساعة الطعان

ساعة أن نخاذل الكمأة .. والرمأة .. والفرسان

دُعيت للمبدان !

أنا الذى ما ذقت لحَم الضان ..

أنا الذى لا حول لى أو شان ..

أنا الذى أفصبت عن مجالس الفتیان ،

أدعى الى الموت .. ولم أدع الى المجالسة !!

تكلمى أيتها النبية المقدسة

تكلمى .. تكلمى ..

فها أنا على التراب سائل دمي

وهو ظمىء .. يطلب المزيد .

أسائل الصمت الذى يخنقنى :

« ما للجمال مشيها وثيدا .. ١٢ »

« أجندلاً يحملن أم حديدا .. ١٣ »

فمن ترى يصدّقنى ؟

أسائل الرُكع والسجودا

أسائل الفيودا :

« ما للجمال مشيها وثيدا .. ١٤ »

« ما للجمال مشيها وثيدا .. ١٤ »

• • •

أيتها العرافة المقدسة ..

ماذا تغيد الكلمات البائسة ؟

قلت لهم ما قلت عن فوافل الغبار ..

فانهموا عينيك ، بازرقاء ، بالبواز !

قلت لهم ما قلت عن مسيرة الأشجار ..

فاستضحكوا من وهلك الثرثار !

وحين فوجئوا بحدّ السيف : قاهضوا بنا ..

واتمسوا النجاة والفرار !

ونحن جرحى القلب ،

جرحى الروح والفم .

لم يبق إلا الموت ..

والخطأ ..

والدمار ..

وصببة مشردون يعبرون آخر الأنهار

ونسوة يسقن فى سلاسل الأسر ،

وفى ثياب العار

مطاطقات الرأس .. لا يملكن إلا الصرخات التاعسة !

.....

ها أنت يازرقاء

وحيدة ... عمياء !

وماتزال اغتباط الحب .. والأضواء

والعربات الفارحات .. والأزياء !

فأين أخفى وجهي المشرها

كي لا أعكر الصفاء .. الأبله .. المروها .

في أعين الرجال والنساء ؟!

وأنت يازرقاء ..

وحيدة .. عمياء !

وحيدة .. عمياء !

(١٣ - ٦ - ٦٧)

أيلول

(صوت)

(١)

(جوف خلفية)

جرب الباكي في هذا العام

جمع عنه في السجن فلسوة الاعداء

سقط من سترته الزرقاء .. الأرقام !

بشي في الأسواق : يبشر بنوئه الدموية

جاء أن وقف على درجات القصر الحجرية

بقول لنا : ان سلیمان الجالس متكفها

برق عصاه

قد مات ! ولكننا نحسبه يغفو حين نراه !!

أواه .

قال .. فكمنناه ، ففأنا عينه الذاهلتين

وسرقنا من قدميه الخفين الذهبيين

وحشرناه في أروقة الأشباح المزدهمة

...

...

...

(صوت) :

ونسينا يا أبلول الكلمة

في سورية

كانت تتهاوى رايات أمية

فرغتناها علماً علماً .. ووقعنا في أسر الروم

لكننا في طابور الأسرى المهزوم

كنا ننظر زياد بن أبيه

نبحر ، فنفذنا مما ننسربل فيه .

كنا نبصر وردنا الصابحة الحمراء

نحم في شرفة بيت في حلب الشهباء

وظلنا ننظر .. نطول الأظفار .. ويبض

السالف

.. ذات صباح عاصف

كنا نشرب حين أننا الأنباء

.. فتمكر لون الماء !

(جوقة خلفية) :

فحلت اللعنة !

..

الأمرء الصم

مانوا على المداخل

لم يبق إلا « الداخل »

يعبر نهر الدم !

... ..

لم يبق إلا « الداخل »

يعبر نهر الدم !

والأمرء الصم

ماتوا على المداخل

... ..

ماتوا على المداخل

لم يبق إلا « الداخل »

*** (٣)

لو زرت دمشق

لوقفت على أبواب « المزة » ولناهت

الطرف

ودلفت الى غرفات التعذيب ..

(صوت) :

ورأيتك تضحك يا أبلول وأنت على

الأعشاب ندق .

فلقد أبصرتك في آخر ليلة

مصلوباً تتأرجح في باب زويلة !

ولمست أصابع قدميك هتبات ما بين

الدهشة والكذب

وحشوت جراحك بنزاع الأرض المارة

ولففتك في الرايات المنكودة

وحملتك حنى وإيستك في مغبرة

الصمت .. وراء الشرف .

لكنني أسمع صوتك في الليل ! نغني

بالأبلول

..

في ضجة المدياع

يخف صوت الحق !

فمن يقول الصدق .

(جوقة خلفية) :

كبي زهف الأسماع ؟

... ..

من ذا يقول الصدق

كبي زهف الأسماع ؟

فضجة المدياع

نخفت صوت الحق !

... ..

يخفت صوت الحق

(١)

عرفت هذه المدينة الدعائية -

مفهي فمفهي .. شارعاً فشارعاً

رأيت فيها (البسملث) الأسود والرافعا

وزرت أوكار البغاء واللصوصية !

على مقاعد المخططة الحديدية ..

نمت على حفاثي في الليلة الأولى

(حين وجدت الفندق الليلي مأهولاً ؟)

وانفثع الضباب في الفجر .. فكشفت البيوت والمصانعا

والسفن التي تسير في الفناء ؟ كالأور ..

والصائدين العائدين في الزوارق البخارية !

• • •

(رأيت عمال « السجاد » يهبطون من قطار « الحجر » العنبق

يعتصمون بالمناديل النراية

يدندنون بالمواويل الحزينة الجنوبية

تجمل من تجويفات عظام الموتى : فصبات

الأرغول

فججي غناؤك . ممزوجاً بنحيب !

(الجوقة) :

هذا العام ..

أعطينا جرحانا آخر ما يملكه الصبف من

الأنسام

وبقينا في المهده المختنق المبحوح .

لكننا من كل ضريح

ننتظر الرج !

... ..

فمن بفول الصديق ؟

... ..

(صوت) :

ننتظر الرج

من كل ضريح

... ..

من كل ضريح

ننتظر الرج

... ..

(سبسر ١٩٦٧)

ويصبح الشلوع .. درياً .. فزفاقاً .. فمضيقاً
فبدخلون في كهوف الشجن العميق
وفي بحار الوهم : يصطادون أسماك سليمان الخرافة !

• • •

تحصرها النيران .. وهى لا تلتين
تذكر مجئى الالهى .. على مفامى « الأربعين »
بين رجالها الذين ..

بنفسهم خبزها الدامى . وصمتها الحزين
ويفتح الرصاص — فى صدورهم — طريقنا إلى البقاء .
يسقط الأطفال فى حاراتها
تقبض الأبدى على خيوط « طائراتها »
وترغى — هامة — فى بركة الدماء .
وتأكل الحرائق ..

بيوتها البيضاء والحدائق ..
ونحن ها هنا .. نعص فى لجام الانقراض !
نصغى الى أنبائها .. ونحن نحشو فمنا ببيضة الافطار !
تسقط الأبدى عن الأطباق والملاعق
أسقط من طوابق القاهرة الشواهد
أبصر فى الشارع أوجه المهاجرين
أعانق الحنين فى عيونهم .. والدكريات
أعانق المحنة والنبات .

... ..

هل تأكل الحرائق

عرفت هذه المدينة ؟
سكرت فى حائنها
جرحت فى مشاحنها
صاحبت موسيقارها العجوز فى (نواشيج) الغناء
رهنت فيها خائفى .. لقاء وجبة العشاء
وابعثت من « هبلات » السجائر المهترئة .
وفى « الكباشون » مسيحت

واشبهت أن أموت عند فوس البحر والسماء !
وسرت فوق الشعب الصخرية المدببة
ألفظ منها الصدف الأزرقى والغوافعا .
وفى سكون الليل ؛ فى طريق « بور نوفيق »
بكبت حاجنى الى صدى
وفى أثر الشوق : كدت أن أصير .. ذذبذة !
(٢)

والآن ؛ وهى فى ثياب الموت والفداء

بيوتها البيضاء والحدائق
بينما نظل هذه « القاهرة » الكبيرة
آمنة .. فريه ؟!

نضئ فيها الواجهاً في الحوائث ، ونرفض النساء ..
على عظام الشهداء ؟!

يوميات كهيل صغير السن

- ١ -

خُرف أن العالم في قلبي .. مات !
كنى حين يكفُ المذباغ .. وتغلق الحجرات :
نُش قلبي ، أخرج هذا الجسد الشمعي
وأسجبه فوق سرير الآلام .
نُح فمه ، أسفبه نبيذ الرغبة
علعل شعاعاً ينبض في الأطراف الباردة الصلبة
نكن .. تنفتت بشرته في كفتي
لا ينبغى منه .. سوى : جمجمة .. وعظام !

- ٢ -

نزلغ من شعاع لشعاع
وأنت تمشين — تُطالعين — في نشاطك الأغصان في الحدائق
حاملة .. بالصيف في عُرفات شهر العسل الفصير في الغداة
ونزهة في النهر ..
واتكاعاً على شراع !

.. وفي المساء ، في ضجيج الرقص والتعانق

تترلقين من ذراع لذرّاع !

تنتقلين في العيون ، في الدخان العصبي ، في سخونة الإبداع

وفجأة .. ينسكب الشراب في تحطم الدوارق

بيل ثوبك القرائشي .. من الأكلّم حتى الخاصرة !

وحين يُقفر المغنى فمه مرثيكا

تنفجرين ضحكا !

تشتعلين ضحكا !

وتخلعين الثوب في نصاعداً التغم الصارخ .. والمطارق

وتخلعين ثُفك المشبك

ثم ...

تواصلين وفصك المجدن .. فرف الشطّانات المتناثرة !

- ٣ -

عينا القطرة تكشمشان ..

فيدق الجرس الخامسة صباحا !

أنحس ذفتي النابتة .. الطافحة بثوراً وجراحا

(.. اسمع خطو الجارة فوق السفف

دفع الأغطية ، خوير الصنبور

حشخشة المدياع ، عدوية جسدى المهور

(.. والخطو المتردد فوق لبس يكف .. !)

لكنى في دقة بائمة الألبان :

تتوقف في فكى .. فرشاة الأسنان !

- ٤ -

في الشارع ..

أنلاقى - في ضوء الصبح - بظلى الفارغ :

تنصافح .. بالأقدام !

- ٥ -

حبينى ، في الغرفة المجاورة

أسمع وقع خطوها .. في روحه وجبته

أسمع قهقهاتها الخافنة البرهة

أسمع نغماتها المجاورة

حتى حفيف ثوبها ؛ وهى تدور في مكانها .. بهم بالمغادرة

(.. يومان ؛ وهى إن دخلت :

نشاغلّت بقطعة التطريز ..

بالنظر العابر من شباكها الى الافريز ..

بالصمت إن سألت !

.. وعندما مرت على ؟ بقعة مضيق ؟

أنفت وراء ظهرها .. نحية انصرافها الفاترة

فاحتفت أذناي ، واختبأت في أعمد الوطائف الشاغرة

حتى تلاشي خطوها .. في آخر الدهليز !

- ٦ -

أطرق باب صديقي في منتصف الليل

(تسب الفطة من داخل صندوق العضلات)

كل الأبواب ؟ العلوية والسفلية ، تفتح إلا .. بابه

وأنا أطرق .. أطرق

حتى تصبح قبضتي المحمومة خفاشاً يتعلق في بندول !

... ..

بندقي من قبضتي المجروحة خبط الدم

بترفرق .. عذبا .. منسابا .. بنساند في المنحنيات

نغنسل الرثائن المنعبان من اللون الدائق ،

بنفسي السم ..

بتلاشي الباب المغلق .. والأعين .. والأصوات

... وأموت على الدرجات !

ندف فوق الآلة الكاتبة القديمة

وعندما ترفع رأسها الجميل في افتراق الصفحتين

نزاه في مكانه المختار .. في نهاية الغرفة

برشف من فتجانه رشقه

يرشح عينيه على المنحدر القلجي ، في انزلاق الناهدين !

(.. عينيه هانين اللتين

تغسل آثارها عن جسمها — قبل أن نام — مرنين !)

وعندما ترشفه بنظرة كظيمة

فبسرود لحظة عينيه : ينسم في نعومة

وهي نشد لوبها الفصير فوق الركبتين !

... ..

.. في آخر الأسبوع

كان بُعد — ضاحكا — أسنانها في كتفه

ففرصت أذنيه ..

وهي ندس نفسها بين ذراعيه .. ونشكو الجوع

- ٨ -

حين نكون معي أنب :

أصبح وحدى ..

في بيني !

... ..

- ٩ -

جاءت إليّ وهي تشكو الغثيان والنوار

(.. انفقت رائي على أفراسي منع الحمل !)

ترفع نحوى وجهها المبجل ..

نسألي عن حل !

... ..

هناي الطبيب ! حينما أصطحبها اليه في نهاية النهار

رجونه أن ينهي الأمر .. فتأخر (.. واستدار ينلو فوانين

العقوبات عليّ كي أكفّ القول !)

هامش :

أفهمه أن الفوانين تُسنّ دائماً . لكي نخرق

أن الضمير الوطني فيه يُعَلَى أن يغفل النسل

أن الأثاث صار غالباً لأن الجذب أهلك الأشجار

لكنه .. كان بخاف الله .. والشرطة .. والتجار !

- ١٠ -

في لبلبة الزفاف ، في التوهج المرهق

ظلت تُدير في الوجوه وجهها المنتصر المشرق

وحين صرنا وحدنا - في لحظة الصمت الكثيف الكلمات

داغيت الخاتم في اصبعها الأيسر ، ثم انكسبت عجلي !

(.. كانوا - وراء الباب - يكتسون النور والظلا

وتخلع الرافضة الشقراء عريها .. وحسب الهبات !)

فلت لها « ما أجمل الحفلا »

فاطرقت باسمه الغمازين والسمات .

وعندما لمسناها : نتجت أطرافها الوجلي !

وانفلنت عجلي .. !

كأنها لم تذق الحب .. ولم يثر بصرها التهيدات !

- ١١ -

مذ علقتنا - فوق الحائط - أو سمع اللهفة

وهي تطبل الوقفة في الشرفة !

واليوم ..

فالت إن حبالى الصويرة نفلتها عند النوم !

.. وانفردت بالرفة !!

- ١٢ -

في جلسة الافطار ، في الهتية الطفلة المبكرة

أعصب عيني بالصحيفة التي يدسها البائع تحت الباب

وَرَجَنِي نَبْدًا تُرْثِفُهَا الْيَوْمِيَّةُ الشَّاهِرَةُ
وَهِيَ نَصَبٌ شَابَهَا الْفَاتَرُ فِي الْأَكْوَابِ !
(.. نَقَصَ عَنْ حَارَتِهَا الَّتِي ارْتَدَتْ ..
وَحَارَهَا الَّذِي اشْتَرَى ..
وَعَنْ شَحَارَهَا مَعَ الْخَادِمِ وَالْوَبَّاءِ وَالْفَصَّابِ ،
.. ثُمَّ نَشَدَ مِنْ بَدَى : صَفْحَةُ الْكُرَّةِ) !

- ١٣ -

.. الْعَالَمُ فِي قَلْبِي مَاتَ .
لَكِنِّي حِينَ يَكْفُ الْمَذْبَاحُ ، وَتَعْلُقُ الْحِجْرَاتُ :
أَخْرَجَهُ مِنْ قَلْبِي ، وَأَسْجَبَهُ فَوْقَ سِرْبِي
أَسْفِيهِ تَبِيدَ الرِّغْبَةُ
فَلَعَلَّ الدَّفْعَاءَ يَهْوِي إِلَى الْأَطْرَافِ الْبَارِدَةِ الصَّلْبَةِ
لَكِنِ .. تَنَفَّسَتْ بَشَرَتُهُ فِي كَفِّي
لَا يَنْفِي مَعَهُ سِوَى .. حَمِيمَةٍ .. وَعِظَامٍ !
... وَأَنَا !!

(١٩٠٧)

اجازة فوق شاطئ البحر

أغسطس ،

الاسكندرية :

والبودُ ينشع في رلتين ..
يسدُ مسامُهما الرُّبُ .. والأُزْيَةُ !

طفولة « مابو » نسيخ ،

وفي الصبح : نرفع راياتنا البيض للبحر .. مستسلمين ،
لبنخرنا الملح ، بمنح بشرتنا الشمس البرصى ،
ونفرش أسطحة الظهير ، نجلس فوق الرمال ،
نُجْرُوحُ فِي حَزْنِ الْغَامِضِ الشَّيْئِيِّ .. لَكِي بَنُوْهِي !
(.. حِينَ هَمْنَا بِإِمْسَاكِه : احْتَرَفْتُ يَدُنَا) ،

ننلمسُ ثدى البَكَارَةِ .. كَيْفَ نَجْفُ النَّصَارَةَ فِيهِ ،
فَيُغْرِزُ سَمًّا .. وَدُودًا يَبْعَثُ بِتَفَاحَةٍ مَعْطَبَةٍ ؟ !

... .. .

وفي الليل . نَحْفِضُ رَايَاتَنَا ..

تنقضُ الهدنة الأبدية ،

نخرو أن نساءل « هل نحن موني » ١٩

وجولنا في الملامى ،

اهتزازنا في الترام ،

تلاصقنا في ظلام المداخل ،

ذبذبة النظرات أمام المعارض والعابرات الرشبات ،

مركبة الخيل حين نسير الهوينى بنا ،

الضحكات ، النكات :-

بفايا من الرّيب المر .. والرغوة الذاهبة ١٩!

« نرى نحن موني .. »

ونتشب أنبابتنا في الطيور المهاجرة المتنبئة ١١

(٢)

صديقي الذي غاص في البحر .. مات ١

فحتطت ..

(.. واحتفظت بأسنانه ..

كل يوم إذا طلع الصبح : أخذ واحدة ..

أفدب الشمس ذات الحب الجميل بها ..

واردد : « يا شمس ! أعطيك سنّة اللؤلؤة ..

ليس بها من غبار .. سوى نكهة الجوع ١١

رُدّيه ، رُدّيه .. يرو لنا الحكمة الصائبة »

ولكنها ابتسمت بسمّة شاحبة !

.....

وكانت على البحر رابعة حزين ، وغضبة ربح

ونحن - مع الصمت - نحمل جثثانه فوق اكتافنا ،

ثم نهبط في طرفات المدينة ،

نستوقف العابرين ،

نسالهم عن طريق المدافن .. والرحلة الخائبة !

ولكننا في النهاية ..

عدنا الى شاطئ البحر .. والراية الغاضبة ١١

.....

بدايتنا البحر ..

- حين فصدنا المغائر ١ -

كيف رجعنا إليه ١٩

وكيف الطريق اشتبّه ١٩

(١٩٦٦)

موت مغنية مغمورة

صوت (١) :

أغلغى المذياع ؟

هذا زمن السكنى ،

« سالومي » نغنى ..

من ترى يحمل رأس « المعمدان » ؟

في انكسارات الظلال ..

نبداً الأحزان في أعماقنا إيفاغها الهادى ،

نصحو الرغبة المرنشفة .

نتوالى فطرات الصمت من صنوبرها القضى ،

كى نرسم في صفحة ماضينا .. الدوائر

صورة لأمرأة تجلس في البهو — نحوك الصوف —

في مئزرها البينى ، لقاء الضفائر

نفرات المطر العذبة في النافذة البيضاء ،

دقق الدفء من ثمنية القطعة ،

موسيقى السكون الموحشة

مركبات الغد تدنو في الخيال ..

نصهل الأفراس عند الباب :

— « أين القادمون ؟ »

— الليل .. الوحدة .. والشوق الخال

(تقاسيم) :

عقب استعراضها الفاضل .. لم تخلع رداء الرقص ،

ظلت خلف أفسار « الكواليس » ،

ترد السحب الزرقاء عن أعينها ، نيكى شيابا ..

كانت المنعة فيه : قطعة الجبن .. وكأسين من « الروم »

لكى نمرح في غرفة ريفي من الطلاب ..

لا نملك بمناء سوى الكسرة والنبغ الرخيص ،

— الآن مجشى خلفه .. سرّب من الأطفال ،

عند النوم يسطرون على منظاره الطبي .. حتى لا يرى

وجهها صاف .. وعيناها غديران من الحزن ،

ويدنو الخادم الأسمر ، يلقى باقة الورود ،

ويلقى دعوة للسهر ..

(. الآن منمضى ،

وغدا سوف يوافيها الطبيب — الموت والاجهاض —

هذا شهرها الثالث . رغم الحزن الشائع !
حتى أنت يا أفراس منج الحمل !!
ما من أحد في هذه الدنيا جدير بالأمان !

الموت في لوحات

(١)

مصفوفة حفاياي على رفوف الذاكرة .
والسفر الطويل ..
يبدأ دون أن تسير القاطرة !
رسائل للشمس ..
نعود دون أن نرس !

رسائل للأرض ..
ثمة دون أن تفض !
ببل ظلي في الغروب دون أن أميل !
وها أنا في مقعدى القائط .
وريفة .. وريفة .. يسقط عمري من نتيجة الحائط
والورق الساقط
يطفو على بحيرة الذكرى ، فتلتوى دوائرنا
وتختفى .. دائرة .. فدائرة !

(٢)

شقة يمتلئ رجاء ، ماتت وهي دون الثالثة .

منفرد

من يفترس الحقل الجائع
غير الذئب الشبان ؟
ارتاح الرب الخالق في اليوم السابع
لكن .. لم يسترح الإنسان

صوت (٢) :

وتحدها .. تسافط الدمعة من عين الليال
بعد أن علقها الوهم طويلا ..
وحدها ، سرعان ما ترشفها الأرض !
وينساها الرجال
شربوا قهوتها المرة ، والمذايق مازال يفتى !
والمصاييح تُضاء !

ماتت وما يزال في دولا ب أمي السرى .
صندلها الفضى !

صدارها المشغول ، فرطها ، غطاء رأسها الصوفى
أرنبا الفطنى !

وعندما أدخل بهو بيتنا الصامت
فلا أراها تمسك الحائط .. عليها نفث !
أنسى بأنها ماتت ..

أقول . ربما نامت ..
أدور في الغرف .

وعندما نسألني أمي بصوتها الخافت
أرى الأسى في وجهها الممتنع الباهت
وأستبين الكارثة !

(٣)

عرفتها في عامها الخامس والعشرين .
والزمن العتيق ..

ينشب في أحشائها أطفاله الملوثة .
صلت إلى العذراء ، طوفت بكل صيدلية
تقلب بين الرجال الخشبين !
.. وما تزال تنشرى اللغائف الفطنية !

.. ما تزال تنشرى اللغائف الفطنية !
... ..

وحين ضاخجت أباه لبله الرعد
تفجرت بالخصب والوعيد
واختلجت في طينها بشاره التكوين !
لكنها نادت أباه في الصباح ..
فظل صامتا !
هزته .. كان مبنا !!

(٤)

من شرفنى كنت أراها في صباح العطلة الهادئ
تنشر في شرفتها على عيوب النور والغناء
ثياب طفلها ، ثياب زوجها الرمجة الصفراء
فمصانه المغسولة البيضاء .
تنشر حولها نقاء قلبها الهائى
وهى نروح وتحيى ..

... ..
والآن بعد أشهر الصيف الرديء
رأيتها .. ذابله العتيق والأعضاء
تنشر في شرفتها على حبال الصمت والبكاء

بطاقة كانت هنا

(٥)

حبيبتى فى لحظة الظلام ، لحظة التوهج العذبة
تصبح بين ساعدى جثة رطبة !

ينكسر الشوق بداخلى ، وتحفت الرغبة
أموء فوق شحدها

أضرع فوق نهدها
أود لو أنفذ فى مسام جلددها

لكن .. يظل بيننا الزجاج .. والغباب .. والغربة !

.....

و ذات لبله ، نكسرت ما بيننا حواجز الرهبة

فاحتضنتنى .. بينما نحن نفوس فى قرارة الثرىة

تبعثرت فى رأسها شرائح الصورة والنجوم

واختلطت فى قلبها الأزمنة الهشيم

لكنها وهى تتأجبنى

سمعتها تنادبنى

باسم حبيبها الذى فد حطم اللعبة

مخلفاً فى قلبها .. ندبة !!

(١)

المنزل الثالث بعد المنحنى

الطابق الأخير .

بطاقة صغيرة كانت هنا

وعبط ضوء كان من خلال بابها ينير !

الطابق الأخير ..

الوحشة السوداء فى الأعصاب تنفوس

يدى على الجرس !

سدى .. سدى !!

تراجعت فى أذننى رحلة الصدى

وأسافت الرماد من لفافى !

كانت هنا حبيبتى

عيونها محائر الضياع

عائم .. وعامان .. مدادها الحزين لم يجف

صلاة هرة إلى الشتاء خلف باب

وبسمة كأن نورساً على المدى يرق !
ها أنذا ..
بذ تساندت على الجدار
وخطوة تهبط للقرار !

(٢)

حانوث خمار كعب
يرسم في كؤوسه عرائس الأحلام ؛ في الزجاج
توهجت عند امتلائها ..
وبعد برهة .. عاودها الشحوب !
حببتى ملاح ابتسامي على يريقها الوهاج
« بنلوب » أين أنت يا حبيبي الحزينة ؟
صيفان ملحدان في مخاطر الأمواج
كقبضة من العفونة ..
أعود ، كي يغسل الحنين في بحيرة الذهب .
لكننا « بنلوب » ..
بطانة كانت هنا !
روحشة غريبة ، وثقب باب لم يعد يضيء !
وعنكبوت قد أتم — فوق ركنه — نسيجه الصوفى !

لقد أنتم العنكبوت ما بدأت في انتصارك الوفى !
ما كان كان ..
لكننا ملاح الزجاج
لا نعرف النسيان !

(٣)

الليل عند المنتصف
با سائق السبارة العجوز .. قف
المنزل الثالث بعد المنحنى .
لكنها يا صاحبي العجوز .. لم نعد هنا !
امض هناك حيث لا مكان
حيث البيوت دوغما عنوان
أوغل بنا في رحلة السراب
فاقله الغناء نستعد للمسير خلف دورة المضارب
لا تسأل الحادين عن وجهها ، عن المآب
فهم هناك يرفيون أصبح النجوم
ضاعت معالم الطريق في الضباب .
حبيبي لا بد أنها هناك
نساءل عن رواحل أرندت من العروب
لا نرتبك ، فقد بصيع العمر في هنيهة ارتباك .

حبيبي : لقد نجوت من « سلوم »
طفلك آت من مدينة الخراب
الموت ما يزال مغعاً على الأبواب
الخاطئون .

هم الذين يرحلون
في هذه القافلة المسدودة الدروب
... ..
سدى .. سدى ..

تراجعت في أذني رحلة الصدى
وأسافط الرماد من لفافتي .

ظماً .. ظاً

جسدي : صخرة صهرتها الظهيرة .
حلفها يتفتت ،
والبحر بعد ذراعين .. بعد السماء !
فرس الموج تنفض أعرافها البيض ،
نعدو بمركبة الزرقعة اللهبية ،
لكنها تنحطم فزق الحواجز .. نهوى كبيرة !
أكشف الرأس تحت الرذاذ ،
أمدّ يدي حاملاً كويي الفارغ الورقي ..
لنسبح فيه القفايع ذات العيون الصغيرة
عطش .. عطش ، والنداء .

خنجر في الهواء !
حين صار فسي فضة : وقف البيغاء ..
عاريا .. نزعته ريشته يدها المنحفة .
قالت الزنينة :

« أرخ عينيك .. وافتحهما .. »
ثم .. لم ألفها في شجيرتها المطرقة !

شعرها طائر جرفته الرياح

شعرها والوشاح

وهي نعدو .. وما بيننا الصمت والضمير !

كل من شربوا .. هربوا دون أن يدفعا ثمناً للعزاء

زخلوا .. بعد أن قلبوا في الزراب الاناء .

ووفدت على الحان : لم أر غير الحطام ..

وذبال المصابيح .. والفطر يبعث بالفضلات الأخيرة .

— سيدي : ملكك الخزن والكبرياء

خبطك ؟ انقطع الخبط منك ،

وعصفوره قرّ دامي الجناح !

أمراء المدبنة مروا إلى الصبد عند الصباح

الغريسة تجرى .. ولكن كليلك برعى الذئب

وهو يكتم في رثبه النباح !

في سكون المساء

كنت أنقر عين الشهيد المجسم فوق النصب

حين مرّ السكرارى .. يدورون في حلقات الصخب

يبدأون الغناء :

« باعيون النساء »

« أمطرى .. أمطرى »

« من ثرى نشرى خنجرى »

« لنخيثه في حقيبتها .. »

« ثم نفر بطن غريمها المومياء ؟ »

(. أيها الأشقياء !)

.. مرّ في النائه المغرب

فتمدد فوق الحشائش .. ملنصفاً بالرخام

ونوسد دمعته ، ثم نام .

(ظمىء الناس للدم في كل قلب محب ..

فاسفهم با غلام !)

مرّ في غاسلو الطرفات

فأداروا خراطيمهم ، غسلوا النصب الحجرى ،

.. وكنت على الدرجات

أنأوه مرنعشاً ، وثباني نلصق في جسدى المضطرب

والرياح نهب ، ونصفعنى بالعواء .

.....

أهلى الغرباء .

علموا لي مع الصبح ، أهذى بغيوبة الموت ،

محنن الوجه ، خاوى الوفاض

ينفتح حلقى لفطرة حُب ..

غير أن البنابع جفت بعينى ، والبحر غاض ..

وبهوى البياض !

الحزن لا يعرف القراءة

فأكلنى دوائر القبار .
أدور فى طاحونة الصب ، أذوب فى مكاني المختار
شيئا فشيئا .. يختفى وجهي وراء الأتعة
أعمد البرق التي نطل من نوافذ الفطار
كأنها سرب أوز أسود الأعناق
يطلق فى سكينتي صرخته المروعة
ويختفى .. متابعاً رحلته مع النيار !
(صوتك كان ؟
أم نعام الشهوة الماكر ما بين انفراج الشفتين ؟
هذا الذى يشبك قلبى خاتماً .. تحت نعمة القفار
حتى إذا اغتسلت — فى نهاية السهرة — من لزوجة الألفاظ
تجيبته على نافذة الحمام .. بسنعيد ذكرياته ..
ويسرد الزمن الضائع بين الصورتين ؟)

ooo

نوفى أينما الأشرطة البيضاء
فقد نرى الحيط الذى خلفه الثعبان فوق الصحراء

فد نرى عظام من مانوا من الظمأ
فد نرى .. وفد نرى ..
كنها الأشياء ..

دب فيها نبضها الوحشئ ، نبضها المكبوت
فدرو على وجهي دفين دفتها ..
مزقا من ورقات-الثوث .

شرع في العيون صولجانها المكسو بالصدأ
في المفاهي نرفع الصوت ، ونحكي عن فضائح البيوت !
- في آخر العمر ، نصير الأذن عادة ..
ملء مهملات .. !

(جوارب السبلة المرغبة
ظلت تثير السخرية
وهي تسير في الطريق .
وحين شدتها : غرقت ..

فانفجر الضحك ، ووارث وجهها مستخذية .
وهكذا أسفطها الصائد في شباك سيارته المفتوحة
فارتبكت وهي نسوى شعرها الطلق
وأشرفت بالبسمات الباكبة !)

لقد فقدت مفعدى .. فبلي أن يرتفع الستار
وانكسرت في داخلي الرغبة في استرداده ، الرغبة في الشجار
فكل شيء يرغى في لحظة التأهب المرتفعة
ونعبت الأيدي بأزرار قميصها المذهبة
وننطقى فقاعة السخط .. بيسمة اعتذار !
شيئا فشيئا .. غاب عن قلبي غبط الضوء !
والحظة الملتبئة !

والنشوة الأولى التي نشد الظهر ..
حين يدي سمعنا إيقاع خطر إمرأة مفترية !
وضحكة العنراء عندما يرشها رذاذ البحر !
والألم الذي بهضنا لطفلة عرجاء !
والدفء في استغراق كهل جالس ، يحل في هدوء ..
مسابقات الكلمات .. !!

وعوسنا نمسك .. لا يستندنا ..
إلا حواف الباقة المنصبة !
فارحم عذابي أيها الألم ..
واستند حطامى المنهار .

بكائية الليل والظهيرة

- ١ -

في كل ليل ..

تخلع الذكرى ملابسها المبهرة القديمة ،

تستحم برششات الضوء ؛ تفصل فيه ، وعشاء الطريق .

ونسرد نضارة الألوان .. والمرح القديم .

نديانة .. كالظلل ، تخلع تحفها المبلولة ،

نستلطف جوارى في الظلام ؛ نضى بشرتها :

برائحة النور في الحفول ..

برعشة الفجر المورجج في مرايا النيل ..

بالقطرات تلمع في منابت شعرها المحلول ..

بالنبض الخجول .. يرف في استدفالها ..

باللغة الغناء في الصوت الرخيم

.. وذراعها يلتف : يرتعش التوهج تحت لمسه .

وتفزع آخر السفن المفسدة المضطربة من مرافئها ؛

نشق النهر ؛ نثر ما نبض من رمادي :

فوق أذرعة الخريف البائسات .. فنكتسى ،

فوق الشفاء البائسات .. فنرتوى ،

فوق المروج .. فتطوى في الليل موسيقى الجنادب ،

في الحظائر .. بهذا الشهر الحرون ،

على منافير الطيور .. فتقطع الأفراخ من ثوب الغناء الحلوي

في عقم السماء .. فتنبض البشرى ، ونعقد الغيوم .

با دفء الساعات

هل فاتنا .. مافات ؟

ونحن مازلنا ..

أشباح أمتيات

في مجلس الأموات ؟!

- ٢ -

فاض النهار بنا ، فمزق عن نصوفنا معاطفنا ،

والفانا على أعقاب مملكة الحميمة ، والذباب يطن ،

والكلمات : أفداح مكسرة الحواف ..

إذا لثمانها .. نجرحت الرؤى !

والصمت : فضيان محمأة على وهج البكاء .

(فاض الاناء ، وعامل البرق الصغير يدق باب : ت ؛

« — آو .. ونسقطُ الشمسُ الصغيرة عن رداء النوم
 نيكى المرأة الأفعى على كعب العشب ،
 ونستريد من البكايات ، نلفم صدرها العارى يديه ..
 ... لعله يبنى بها بعد الحداد ! —
 ندير عينيها اللبن نندنا .. فأذابتنا بفع الصلاء ؟)

١٥٥

كان الضرب بدير لحن الموت — كان جهنمى الصوت —
 فوق شرائط التسجيل ..
 فى أسلاك هانقه الختَلَب ..
 فى صرير الباب من صدأ الغوايه ..
 فى أزيز مراوح الصيف الكبيرة ..
 فى هدير محرّكات « الحافلات » ..
 وفى شجار النسوة السوفى فى الشرفاب ..
 فى سأم المصاعيد ..
 فى صدى أجراس إطفائية نعدو .. مصلصلة النداء ..
 (.. كوفى إذن ما شئت :

سافطة ندر على مواخير الموائى ،
 وجه راهبه تضاجع صورة العذراء ،
 أمّا نأكل الأطفال ،

كوفى أى شيء — فيه نفوس خبزنا الحجرى — ملتهب
 الدماء !)

ندم الغبار يلح فوق وجوهنا ،
 وتلوذ بالجدران تخفر فوقها أسماءنا .. لكنها تنفتت !
 الجدران وهم ..
 والرجال الملقصون على مساحة صفحة الأعلان ،
 والصور الثمينة فى المعارض ، والتفوش على المعابد ،
 والوسام العسكري لأنبل الشهداء ،
 والزهو الذى يندس فى رحم النساء .
 (.. تلك المرأة :
 سمحت جلسات شاي العصر ..
 سمحت انتعاشتنا بلسع الماء فى حمامنا الصيفى —
 سمحت البراءة فى نساؤل طفلنا من أين جاء !)

بما آخر الدفات
 فولى لنا .. من مات .
 كفى نخسى ذمّه
 ونختم السهرات

- ٣ -

ماذا غنىء في حقيقتك العتيفة .. أيتها الوجه الصفيق
أشهادة المبلاد ؟

أم صك الوفاة ؟

أم التهمة تطرد الأشباح في البيت العنيق ؟

ماذا غنىء أيتها الوجه الصفيق ؟

ماذا غنىء أيتها الوجه الصفيق ؟

(١٩٦٦)

أشياء تحدث في الليل

إلى صلاح حين ..

وخواوة النعاس نغمر المسافرين في قطار الليل .

.. وفي حفول فربة بعيدة

شق السكون - فجأة - عواء ذئب

وانعقد الحلب في الضروع

وانطلق رصاصة :

فكفت الأشياء - بعدها - عن الوجيب ..

هنيهة ، ثم استعادت نبطتها الرتيب ..

وكانت الليلة .. لا تزال مضمرة !

(كان النشيد الوطني يملأ المذياع منبهاً برامج المساء)

وكانت الأضواء تنطفئ ..

والطرقات نلبس الجوارب السوداء

ونغمر الظلال روح القاهرة .)

والدم كان ساخناً بلوث القضبان

هذا دم الشمس التي ستهرق ، الشمس التي ستغرب ،

الشمس التي نأكلها الديدان !

دمُ الفنبيل أحمر اللون ،

دم الفنبيل أخضر الشعاع

خبطٌ عليه تُنشر الدموع .. كى نجف في أشعة الصبح

(وكان مبنى الاتحاد صامتاً .. منطفىء الأضواء

نسرى إليه من غير « هبلتون الغرب » ..

أغنية طروب !)

وكان وجهه النبيل مصحفاً عليه يُقسم الجبايع

وكانت الذراع ..

فارعة ، كأن محراثاً يشق الأرض !

كانت الذراع ..

ضامرة .. كبذرة الفمج

ضامرة كالسَّنة الأولى التى نبتت في فم الرضيع !

(وكانت المطابع السوداء تُلقي الصحف .. البيضاء

وصاحبان في ترام العودفة الكسول

بمختصمان في نتائج الكرة ..

وفي طريق الهرم الطويل ..

نبادت سبارنان — كادنا في الليل أن نصطدما —

السَّباب !)

وفي الصباح ، والنشيدُ الوطنيُّ بملأ الأسماع

كان فرائشُ الحفل يبدأ التشيع

وكانت الأصواتُ في الفُرى .. جنائزُهُ الايفاع

ورحلةُ الموال في الضلوع نفرد الفلوع :

« أدهم مفنول على كل المروج »

« أدهم مفنول على الأرض المشاع »

... ..

وكان وجهه النبيل مصحفاً ..

عليه يقسم الجبايع !

العشاء الأخير

بكائية :

أعنسى الفلرة حتى ابتسم ..
عندما ينغرس الخنجِرُ في صدر المَرَح
ويدب الموت ، كالنفذ ، في ظل الجدار
حاملاً مبخرة الرعب لأحداق الصغار .
أعطنى الفلرة .. حتى لا أموت .
منهكٌ قلبي من الطرق على كل البيوت
علنى في أعين المولى أرى ظل ندم !
فأرى الصمت .. كمصفور صغير
ينقر العيين والقلب ، ويعوى ..
في ثنابا كل فم !

- ١ -

« الرباع » اختبأت في القيو ؛ حتى تستريح ..
.. فيه من أرجحة الأجساد فوق المشقة .

ووقفنا نحرس الباب ، ونحمي الأزقة
بيننا خيل الممالك ندق الأرض بالخطو الجموح
يقنفون الأثرا
يسألون الدرب عن خطوة ربح فيه ؛ عن أية ربح !
نففض البصرا !

ومضوا ، والسنيك المنون يهوى ، فيصب الشررا
وتواروا في الخوازي الضيفة .
.. نحن عدنا نحمل البشرى لها
وهنفا باسمها
وهزنا كتفيها ، عبثا ..
وتدلت رأسها في راحتينا .. مينة !
نحن كنا نحرس الباب ، ونحمي .. اللاتنة
وهي — تعوبذتنا — لم نحماها !

- ٢ -

الخبولُ المرسجة !
سهلت ، لكن هل الفرمان فرسان كما كانوا .. غدا ؟
والمهاميرُ التي تحملها الأقدام .. غاصت في القلوب !
وسيقُ ثلثت ..
فقد استأجرها النحاس .. نحى هودجه !

وسيقف فتعت أن تتدلى عند الاستعراض .. زينة ا
وجائل ..

حملها في دباحي الليل أضلاع المفاصل
ودقنا نبلها المفهور في عام البكاء .

.. شبح الفرسان ما زال على وجه المدينة
صامتاً بأني إذا جاء مساء
صامتاً ينفذ أطراف الرداء
وعمد الجسدا ..

فيمد الحوف في الليل بدا !

ثم بمضي ، يحمل الأكفان ، بسرى في الدروب
يحمل الأكفان أثواب ركوب !

والمهاميز التي تحملها الأقوام .. غاصت في القلوب !

- ٣ -

التحبات « مساء الموت » بأقلى
فلا تلق التحبة

— من نرى مات ؟

— أنا ..

— أنت !

— أجل .

— أنت لا تملك يوماً أن تموت .
— الحمامات ثوت أعناقها ..
والنوى حتى لسان الرطان
— أنت لا تعرف من أنت ..
— أنا :

منذ أن مات أفي ..

كل من تعشفه أمي الثرية ..

كل من تعشفه أمي : أب لي في العمد !

— ربما « أحس » ربته امرأة .

— .. ذهب الشمس العجوز انصهرها

وهوى فوق نقابات الثرى

وأنا أبكى على نل الرماد !

بفتح الخلب أجفان العيون

لنرى .. لكن نرى ماذا ترى ؟

(ساعة الحائط في معبد « هاتور » .. انتهت دقائقها

وانتهت « طروادة » البكر .. على وهم الحصان !)

— .. أنا « أوزوريس » صافحت القمر

كنت صيفاً ومضيفاً في التوبخه

حين أجلس لرأس المائدة

وأحاط الحرس الأسود بي

عندما ينلح (الكورنيش) أضواء الغروب
نسلع الظلمة فيه والبرودة
بحمل الجوع إلى العار .. ولبته
كلمات ..

ثم نسل من البرد .. لدفع العريات .
والمصايح : سظايا فمر .. كان بضئ
حطمته قبضة الطاروس فوق الطرفات
ثم أهذنه إلى النسوة .. كي يصلبه فوق الصدور .
ينباهن به .. وهو رفات !
كلمات .. كلمات ..

ثم نسل من البرد لدفع العريات .
وأنا « يوسف » محبوب « زليخا »
عندما جئت إلى قصر العزيز
لم أكن أملك إلا .. فمرا
(فمرا كان لقلبي مدفأة)
ولكم جاهدت كي أخفيه عن أعين الحراس ،

فتطلعت إلى وجه أخى ..
فتفاضت عبته .. مرعدة !
أنا أوزوريس ، واسيت القمر
ونصفحت الوجوه ..
وتنبأت بما كان . وما سوف يكون ؟
فكسرت الخيز ، حين امتلأت كأمي من الحمر القديمة
فلت : يا أخوة ، هذا جسدي .. فالنهمو
ودمي هذا حلال .. فاجرعه !
خياً المصباح عنبه .. بأهداب جناحه ..
لكي تخفى الجريمة
وتنتي الضوء من جد الخناجر !
— ربما أحباك يوماً دمع « ايزيس » المقدس
غير أنا لم نعد نتجب ايزيس جديدة
لم نعد نصفى الى صوت التشيع
ثقلت آذاننا منذ عرفنا في الضجيج
لم نعد نسمع إلا .. الطفلات !
(يفرض الرعب الطمأنينة في ظل المسدس ..)
— الطمأنينة في ظل الحداد !
— سيدى .. نحن انزلنا من ظهور الأمهات
بيد تضغط ثقب الجرح ،

ربما نور في الظلمة برهة .
غير أني كنت جائع
وأنا الآن فقدت القمر .

... ..

جائع با فلبى المعروض في سوق الرياء
جائع .. حنى العباء
ما الذى آكله الآن إذن ..
كى لا أموت ؟

(ديسمبر ١٩٩٢)

عن كل العيون الصدئة
.. كان في الليل بضئ !
حملوني معه للسجن حتى أطلقته
نركوني جائعاً بضع لبال ..
نركوني جائعاً ..

فراءى القمرُ الشاحب — في كفى — كعكة !
وإلى الآن .. بخلفي ما نزال ..
قطعة من حزنه الأسبب .. تُدمنني كشوكه !

° ° °

أعطنى القدرة حتى أبتم ..
فشعاع الشمس بهوى كخيوط العنكبوت
والفتاديل نموت
فدمى نلتمس السلّة الأولى لكي أصعد فوقها
ويدى نلتمس الحاجز إذ أخشى السقوط
كيف أبقي ؟

عفن الموتى ، وأطباب الخنوط
نكهة نكسو فناء البيت ، نسرى في دمي عرفاً فعرفاً .
.. منهك فلبى من الظلمة ، إني لا أرى
آه لو لم ألتهمه — القمر الشاحب — لو ..

حديث خاص مع ابي موسى الأشعري

[حاذبت خطو الله ، لا أمامه ، لا خلفه ...]

- ١ -

.. إطار سيارته ملوث بالدم !

سار .. ولم يهتم !!

كنت أنا المشاهد الوحيد

لكنني .. فرشت فوق الجسد الملفى جريدتي اليومية

وحين أفبل الرجال من بعده ..

مؤقت هذا الرقم المكتوب في ورقية مطوية

وسرت عنهم .. ما فحنت القم !!

...

(حاربتي في حربهما

وعندما رأيته كلاً منهما .. متهما

حلعت كلاً منهما !

كفي بسترده المؤمنون الرأي والبيعة

.. لكنهم لم يدركوا الخدعة !)

...

حين دلفني داخل المفهى

جردني التادل من ثيابي

جردته بنظرة ارنباب

بادلته الكرها !

لكنني منعت الفرش : فزيت الوحها ..

ببسمه .. كليلية .. بلها ..

ثم رسمت وجهه الجديد .. فوق عليه التفاب !

- ٢ -

رأيتهم ينحدرون في طريق النهر ..

لكي يشاهدوا عروس النيل — عند الموت — في جنونها

الأخيرة

وانخرطوا في الصلوات واليكاء .

وجئت .. بعد أن تلاشت الفقايع ، وعادت الزوارق

الصغيرة

رأيتهم في حلفاب البيع والشراء

يفابضون الحزن بالشواء !

.. تقول لي الأسماك

تقول لي عبوتها المبتنة القريرة :

ان طعامها الأخير .. كان لحماً بشرتاً ..

فقبل أن تغرقها الثُّبَالُ !

يقول لى الماء الحبيسُ فى زجاج الدورى اللِّمَّاعِ
ان كلينا .. بنىادلان الابتلاغ !

تقول لى تخطيطُ التماسح فوق باب المنزل المقابلِ
إنَّ عظامَ طفلةٍ .. كانت فراشَ نومه فى القاع !!

(خلعتُ خائى .. وسيدى .

فهل تُرى أحصى لكِ الشاماتِ فى بدى
لتعرفينى حين تُفيلين فى غبد

ونفسلين جسدى

من رَغَوابِ الرِّيدِ !)

فى ليلةِ الوفاءِ ..

رأيتها — فيما برى النائم — مُهَرَّةً كسلى
يسرجُها الخوذى فى مركبةِ الكراءِ

يهوى عليها بالسياط ، وهى لا تشكو .. ولا تسيرُ !
وعندما ثرتُ .. وأغلظتُ له القولا ..

دارت برأسها ..

دارت بعينها الجميلتين ..

رأيتُ فى العبين : زهرتين

تنتظران قبلة . من تحلةٍ هيصَ جناحُها .. فلم تُعدَ تطيرُ !
.. رأيتها — فيما برى النائم — طفلةٌ .. حيلُ !

رأيتها .. ظلا !

وفى الصباح : حينما شاهدتها مشدودةً إلى الشراعِ
ابتنستُ ، ولَوَحَتْ لى بالذراعِ

لكننى : غُثِرْتُ فى سبرى !

رأيتنى .. غبرى !

وعندما نهضتُ : ألفتُ عليها نظرةَ الوداعِ
كأننى لم أرها فبلا !

فأطرقْتُ خجلى ..

ولم تَقُلْ لى رأيتها .. لبلا !

- ٣ -

خرجتُ فى الصباح .. لم أحمل سوى سجائرى

دسستها فى جيبِ سرقى الرماديةِ

فهى الوحيدةُ التى تمنحنى الحبَّ .. بلا مقابل !

رؤبا :

(ويكون عام .. فيه منحرف السنايل والضروع
نموا جوافرئاً — مع اللعنات — من ظمأ وجوع
يتزاحف الأطفال في لعن القرى !
ينمو صَدْبُ الضمغ في الأفواه ،

في هدب العيون .. فلا نرى !
نسافط الأفراط من أذان عذراوات مصر !
ويعوت ثدى الأم .. تنهض في الكرى
نظمو — على نيرانها — العمل الرضيع !!)

حاذبت خطو الله ؛ لا أمامه .. ولا خلفه
عرفت أن كلمتي أثقة ..
من أن تنال سببه أو ذنبه .

(حين رأيت عيناى ما تحت الباب : لم بُعد بشرى !)
فلبت — حيناً — وذهبت العملة
حتى إذا ما انفضت المهلة

ألفيتها في البر .. دون جليئة !

وهكذا .. فقدت حتى جليته وغضبه .

(عيناك : لحقنا شروق

أرشف فهو الصباحة : بتيها المحروق

وأقرأ الطالع !

وفي سكون المغرب الوادع

عيناك ، يا حبيبي ، شجيرنا برفوق

نجلس في ظلّهما الشمس ، ونرفو ثوبها المنفوق

عن فخذها الناصع !)

- ٤ -

.. وسنبتين على الجموع

ونرفرفين .. فلا نراك عيونهم .. خلف الدموغ

نتوقفين على السبوف الواقعة

نسمعين المهمات الواجفة

وسنرحلن بلا رجوع !

... ..

ويكون جوع !

ويكون جوع !

(مارس ١٩٦٧)

من مذكرات المتنبى

(في مصر)

« أكره لون الخمر في الفئنة
لكننى أدمنتها .. استشفاء .
لأننى منذ أنبت هذه المدينة
وصرت فى القصور يغاء :
عرفت فيها الداء !

« أمثل ساعة الضحى بين بدى كافور
لبطمئن قلبه ؛ فما يزال طيره المأسور
لا يترك السجن ولا يطير !
أبصر تلك الشفة المتفوية
ووجهه المسود ، والرجولة المسلوقة
.. أبكى على العروبة !

« يومى ؛ يستشدى : أنشده عن سيفه الشجاع
وسيفه فى غمده .. بأكله الصدا !
وعندما يسقط جفاه الثفيلان ؛ وينكفى .
أسير مثل الخطى فى ردهات القصر

أبصر أهل مصر ..

ينتظرونه .. ليرفعوا إليه المظلمات والرفاع !
.. جاربنى من حلب ، نسألتنى « متى تعود ؟ »
قلت : الجود بملاؤن نفض الحدود
ما بيننا وبين سيف الدولة .

قالت : سمعت من مصر ، ومن رخاوة الركود
فقلت : قد سمعت — مثلك — الفهام والفعود
بين بدى أميرها الأبله .

لعت كافورا

وغئت مفهورا ..

« « خولة » تلك البدوية الشמוש
لضيها بالقرب من « أربحا »

سوبة ، ثم افترفنا دون أن نبوحا
لكها كل مساء فى خواطرى نجوس
يقتر بالشوق وبالعنان ثغرها العبوس
أشم وجهها الصبوحا

أضم صدرها الجموحا !

... ..

سألت عنها القادمين فى القوافل

فأخبروني أنها ظلت بسيفها نقاتل ..
 في الليل نجاز الرفيق عن خباثتها
 حين أغاروا ، ثم غادروا شقيقتها ذبيحا
 والأب عاجزا كمشيها
 واختطفوها ، بينا الجيران يرنون من المنازل
 يرنعلون جسدا وروحا
 لا يجرؤون أن يغيثوا سيفها الطربحا !

(ساءلني كافور عن حزني
 فقلت إنها تعيش الآن في يزنطة
 شريفة .. كالقطة
 نصبح « كافوراه .. كافوراه .. »
 فصاح في غلامه أن يشتري جارية رومية
 تُجلد كى نصبح « واروماه .. واروماه .. »
 لكي يكون العين بالعين
 والسن بالسن !)

« في الليل ؛ في حضرة كافور ؛ أصابني السأم
 في جلستني نمت .. ولم أتم
 حلمت لحظة بكأ

وجندك الشجعان يهتفون : سيف الدولة .
 وأنت شمس تخنفي في هالة الغبار عند الجولة
 محتطاً جوادك الأشهب ، شاهراً حسامك الطويل المهلكا
 تصرخ في وجه جنود الروم
 بصيحة الحزب ، فسقط العيون في الخلفوم !
 غوض ، لا يفي لهم إلى النجاة مسلكا
 نهوى ، فلا غير الدماء والبكا
 ثم نعود باسماً .. ومنهكا

والصبية الصغار يهتفون في حلب :

« يا منقذ العرب »

« يا منقذ العرب »

حين نعود .. باسماً .. ومنهكا

حلمت لحظة بكأ

حين غفوت

لكنني حين صحوت :

وجدت هذا السبد الرخوا

نصدر البهوا

يفص في ندمانة عن سيفه الصارم

وسيفه في غمده بأكله الصدا !

وعندما يسقط جفناه النفيان ، وينكفي ..

تعلیق علی ما حدث

یتسم الخادم .. !
 .. نسألنی جارینی أن أکثری للبيت حرّاسا
 فقد طغى اللصوص فی مصر .. بلا رادع
 فقلت : هذا سبقی الفاطع
 ضعبه خلف الباب . من راسا !
 (ما حاجتی للسيف مشهورا
 ما دمت قد جاورت کافورا ؟)
 .. « عبد بأية حال عدت يا عبد ؟
 بما مضى ؟ أم لأرضی فیک نهويد ؟
 « نامت نواظير مصر » عن عساكرها
 وحاربت بدلاً منها الأناشيد !
 ناديت : يا نبيل هل نجري المباه دماً
 لکی تقيض ، ويصحو الأهل إن نودوا ؟
 « عبد بأية حال عدت يا عبد ؟
 (حزيران ١٩٦٨)

في انتظار السيف !

وردة في عروة السرة :

ماذا نلدين الآن ؟

طفلاً .. أم جريمة ؟

أم ننوحين على نواية القدس القديمة ؟

عادت الخيل من المشرق ،

عاد (الحسن الأعصم) والموت المغبر

بالرداء الأرجواني ، وبالوجه اللصوصي ،

وبالسيف الأجير

فانظري غمائله الوافف في المبدأ ..

(يهتزُّ مع الريح . !)

انظري من فرجة الشباك :

أيدي صبيبة مقطوعة ..

مرفوعة .. فوق السنان

(.. مُردفاً زوجته الخيل على ظهر الحصان)

انظري عبط الدم الفاني على الأرض :

« هنا مر .. هنا »

فَانْفَقَاتْ نَحْتُ لِحَطِي الْجَنْدِ ..

عَبُونُ الْمَاءِ ،

وَاسْتَلَفْتُ عَلَى النَّزِيَةِ .. قَامَاتُ السَّنَابِلِ .

آه .. هَا نَحْنُ جِبَاعُ الْأَرْضِ نَصْطَفُ ..

لَكِي يُهْنِي لَنَا عَهْدَ الْأَمَانِ .

بِنَفْسِ السَّكَةِ بِاسْمِ الْمَلِكِ الْغَالِبِ ،

يُلْفِي خَطْبَةَ الْجُمُعَةِ بِاسْمِ الْمَلِكِ الْغَالِبِ ،

يَرْفُ مِنْبَرَ الْمَسْجِدِ ..

بِالسَّيْفِ الَّذِي يَبْقُرُ أَحْشَاءَ الْخَوَامِلِ .

• • •

تَلْدِينِ الْآلِآنِ مَنْ يَجُو ..

فَلَا تَسْنِدُهُ الْأَبْدَى ،

وَمَنْ يَمِثِّي .. فَلَا يَرْفَعُ عَيْنَهُ إِلَى النَّاسِ ،

وَمَنْ يَحْطِفُهُ النِّقَاسُ :

فَدَيَصْبَحُ مَمْلُوكًا بِلُوطُونِ بِهِ فِي الْقَصْرِ ،

يُلْفُونَ بِهِ فِي سَاحَةِ الْحَرْبِ ..

لِقَاءِ النَّصْرِ ،

هَذَا قَدَرُ الْمَهْزُومِ :

لَا أَرْضَ .. وَلَا مَالَ .

وَلَا بَيْتَ يَرُدُّ الْبَابَ فِيهِ ..

دُونَ أَنْ يَطْرُقَهُ جَابٌ ..

وَجُنْدِي رَأَى زَوْجَتَهُ الْحَسَنَاءَ فِي الْبَيْتِ الْمَقَابِلِ (

أَنْظُرِي أُمْتَلِ الْأَرْوَى الْعَظِيمَةَ

أَصْبَحْتَ : شُرْذِمَةٌ مِنْ جِثَّتِ الْقَتْلَى ،

وَشَحَّاذِينَ نَهْنَجُودُونَ عَطْفَ السَّيْفِ ،

وَالْمَالُ الَّذِي يَنْتَرُهُ الْغَازِي ..

قَبْهُوِي مَا نَهْنِي مِنْ رَجَالِي ..

وَأَرْوَمَةُ .

أَنْظُرِي ..

لَا تَقْرَعِي مِنْ جِرْعَةِ الْخَزْيِ ،

أَنْظُرِي ..

حَتَّى نَفْهِي مَا بِأَحْشَائِكَ ..

مِنْ دَفْعِ الْأُمُومَةِ .

• • •

تَقْفُرُ الْأَسْوَافُ يَوْمَئِذٍ ..

وَنَعْنَادُ عَلَى « النَّفْدِ » الْجَدِيدِ

نسنكى الأضلاع يومين ..

ونعناد على السوط الجديد

يسكت المذباغ يومين ..

وبعناد على الصوت الجديد

وأنا منتظر .. جنب فراشك

جالس أرقب في حُمتي ارتعاشك —

صرخة الطفل الذى يفتح عينيه ..

على مرأى الجنود !

(يوليو ١٩٧٠)

فقرات من كتاب الموت

- ١ -

كل صباح ..

أفتح الصنبور في إرهاب

مفسلاً في مائه الرقراق

فيسقط الماء على يدي .. ذمًا !

... ..

وعندما ..

أجلس للطعام .. مُرغماً :

أبصر في دوائر الأطباق

جماجما ..

جماجما ..

مفغورة الأفواه والأحداق !!

- ٢ -

أحفظ رأسي في الخزائن الحديدية

وعندما أبدأ رحلتي النهارية

أحمل في مكانها .. مذابحا !

(أنشر حولي الباتات الحماسية .. والصداعا)

وبعد أن أعود في ختام جولتي المسائية

أحمل في مكان رأسي الحفيضة :

.. فتبنة الخمر الزجاجية !

- ٣ -

أعود مخموراً إلى بيتي ..

في الليل الأخير

يوقظني الشرطي في الشارع .. للشبهة

يوقظني .. برهة !

وبعد أن أرشوه .. أوصل المسير !

...
...
...
توقظني المرأة ..

في استادها المثير

على عمود الضوء :

(كانت مصلفات « الفنج » و « الجبهة » ..

تملاً خلف ظهرها العمودا !)

١٩٨

تسألني لفاقة :

(لم يترك الشرطي ..

واحدة من نبعها اللبلي

تسألني إن كنت أمضي ليلتي .. وحيدا

وعندما أرفع وجهي نحوها ::

سعيدا

أبصر خلف ظهرها : شهيدا

معلقا على الحائط ، ناصع الجبهة

نغوص عيناه .. كنتصليتي رصاصتين

أصرخ من رهافة الحدين

.. أمضي بلا وجهة !!

- ٤ -

فاجأتني الخريف في نيسان

وطائر السمّان ..

حطّ على شواطئ البحر الشمالية

طلبت من نحيه نفسي .. فبيل النوم

فلم أجد .. إلا عذاب الصوم

طلبتُ من شجّه نفسي
(في الظلّ والشمس)
فلم أجد .. نفسي !!
* *

وها أنا خلف التوافد الرجاجة
أرقبُ عند المغرب الشاحب :
طائرَي الغائب !

(١٩٦٩)

الحداد يليق بفطر الندى

جوقة :

فَطَرُ الندى .. يا حال
مُهَرَّ بلا تَحِيَّال

... ..

فَطَرُ الندى .. يا عين
أُمِرَةُ الوجهين

.. ..

صوت :

كان (حمارويه) راقداً على بحيرة الزئبق
وكانت المغنّيات والبنات الحور
بطان فوق المِسْكِ والكافور .
والقفراء والدرابش أمام فصره المعلق
ينتظرون الذهب المبدور
ينتظرون حفنة صغيرة .. من نور .

جوقة :

قطر الندى .. يا عين

أميرة الوجهين

..

قطر الندى ..

قطر الندى ..

(استمرار) :

نعير في سيناء

نعير في مضارب التِّدْوِ ، وفي نضوب الماء

عند انتصاف الصيف .

نحلم بالوصول للأردن ..

ترخى أعتة الخيول حول مائه ..

نفسل وجه الحزن

صوت :

هودجها بخرق الصخراء

نسيقه الأنبياء .

أمامها الفرسان ألف ألف

وخلفها الحصبان ألف ألف

نعير في سيناء ..

جوقة :

قطر الندى .. يا مصر

قطر الندى في الأمر

قطر الندى ..

قطر الندى ..

الصوت والجوقة :

جوقة :

قطر الندى .. يا ليل

تسقط تحت الخيل

..

قطر الندى .. يا مصر

قطر الندى في الأمر

..

.. كان (حاروبة) راقداً على بحيرة الزئبق

في نومة الضلولة .

فمن تُرى ينفذ هذه الأميرة المغلولة ؟

من يا تُرى ينفذها ؟

من يأتري بهقدها ؟

بالسيف ..

أو .. بالهيلة ؟

(١١٦٩)

١ - حمامة

حين سَرَّتْ في الشارع الضوضاء
واندفعت سبابةً مجنونة السائق
تطلق صوت بُوقها الزاعق
في كبد الأشياء :
تفرغت حمامة بيضاء
(كانت على شمالي نهضة مصر ..
تَحْلُمُ في اسرخاء)

..

طارَتْ ، وحطَّت فوق فُيَّة الجامعة النحاس
لاهتة ، تلتقط الأنفاس
وفجأة : دندنت الساعة
ودفت الأجراس
فحلقت في الأفق .. مُرناعة !
..

أيتها الحمامة التي استغرقت

فوق رأس الجسر
(وعندما أدار شرطى المرور يده ..

ظننته ناطوراً .. يصد الطير

فامتلاث رعباً)

أيتها الحمامة النعسي :

دورى على قباب هذه المدينة الحزينة

وأنشدى للموت فيها .. والأسى .. والذعر

حتى نرى عند قلوب الفجر

جناحك الملقى ..

على قاعدة التمثال في المدينة

.. ونعرفين راحة السكينة !

٢ - ساق صناعية

في الفندق الذي نزلت فيه قبل عام

شاركني الغرفة

فأغلق الشرفة

وعلق (السترة) فوق المشجب المقام

وعندما رأى كتاب (الحرب والسلام)

بين يدي : لربد وجهه ..

ورق جفنه .. زفة

فغالب الرجفة

وقص عن صبية طارحها الغرام

وكان عائداً من الحرب .. بلا وسام

فلم تطلق .. ضغفة

ولم يجذ - حين صحا - إلا بفأب الحمر والطعام !

.. .. .

ثم روى حكاية عن الدم الحرام

(.. الصحراء لم تطلق رشقة ..

فظل فيها ، بشنكى رسعه صبة ..)

وظل يروي القصص الحزينة الختام

حتى نلاش وجهه

في سحب الدخان والكلام

وعندما نخرج الصوت به ، وطالت الوقفة

أدركت رأسي عنه ..

حتى لا أرى دمعته العفة

ومن خلايا جسدي : تقصّد الحزن ..

وحين ظن أني أنام
رأيت يخلع سافه الصنابة في الظلام
مُصْعِدًا تهيداً ..
قد أحرقت جوقه

٣ - شتاء عاصف

كان (ترام الرمل) ..
متبعجاً كامراً في أخريات الحمل
وكنت في الشارع
أرى شتاء (الغضب الساطع)
يكنس الأوراق والمعاطف
وكانت الأحجار قد سكونها الناصع
معسولة بالمطر الذي نوقفا
وكان في المذباغ
أغنية حزينة الإبهاغ
عن (ظالم لاقيت منه ما كفى ..)
قد (علموه كيف يجفون .. فجفا)

جلست فوق الشاطئ العابس
وكان موج البحر
بصفع خد الصخر
وينطوي - جنباً - أمام وجهه العابس ..
ونرجع الأمواج
نطحه برأسها المهنأج
ودون أن تكف عن صراعها اليأس .. !
ودون أن تكف عن صراعها اليأس .. !

قلت لكم مرارا

إن الطواغيت التي تمر ..

في امتعاض عيد الفطر والجللاء .

(فنهنف النساء في النواقد انهارا)

لا نصنع انتصارا .

إن المدافع التي نصطف على الحدود ، في الصحارى

لا تطلق النيران .. إلا حين نستدير للوراء .

إن الرصاصة التي ندفع فيها .. ثمن الكسرة والدواء :

لا نقتل الأعداء

لكنها نقتلنا .. إذا رفعنا صوتنا جهارا

نقتلنا ، وتقتل الصغار !

عن خطير الجندی

عن قلبه الأعمى ، وعن همته العبيدة

يحرس من يمنحه راتبه الشهري

وزبه الرسمي

ليهرب الخصوم بالجمعية الجوفاء

والفجعة الشديدة

لكنه .. إن يحزن الموت ..

فداء الوطن المفقود والعفيدة :

فر من الميدان

وحاصر السلطان

واغتصبت الكرسي

وأعلن الثورة في المذابح والجريدة !

قلت لكم كثيرا

إن كان لابد من هذه الذرية المعينة

فيسكنوا الخنادق الحصينة

(متخذين من مخافر الحدود .. دورا)

و دخل الواحد منهم هذه المدينة :

قلت لكم في السنة البعيدة

يدخلها .. حميرا

يلقى سلاحه .. على أبوابها الأمانة

لأنه .. لا يستقيم مَرَحُ الطفل ..

وحكمة الأب الرزينة

مع المُستَدس المدلّي من حزام الخصر ..

في السُّوْنِ ..

وفي مجالس الثورى

• • •

قلتُ لكم ..

لكنكم ..

لم تسمعوا هذا العيبُ

ففاضت النارُ على الخيمَاتِ

وفاضت .. الجثثُ !

وفاضت الحُودُوثُ والمدْرُعاتُ

(سبتمبر ١٩٧٠)

- ١ -

فتح المذباغ .. واسلني !

وكان الفدحُ الساخنُ ..

في وحدته المسنفرقة .

(.. يدخل الطيفُ الذي يهبط .. بغتةُ

يسكتُ المذباغُ .. سكتةُ ...)

- (موجز الانباء) ..

.. ألفت يده السيجارة المحترقة

صرّت النافذة المنغلقة

..

(.. يعبر الغرفة :

فوق الحائط الأزرق .. صورةُ

ظَلٍّ يَجُلُو نَحْمًا يَنْجِرُهُ .. مَيْسَمًا)

..

مَدَّ سَاقِيهِ ،

وكان الرعبُ في عينيه ..

صار الصوتُ والموتُ
عدواً واحداً
منقسماً !

• • •

ظل في مقعد ..
سار الترام

وهو في مقعد ..
كلَّت يداً بائعةً الخبز الصغيرة
وهو في مقعد ..

كفَّ فحبحُ الصمب في المذبايح ،
وانساب ، السلام ،

وهو في مقعد ..
— (موجز أنباء الصبايح)
وهو في مقعد ..

..

في يدم سيجارة ملتصقة
وعلى الجائط .. صورة !!

— من ذلك الهائم في البرية ؟
ينام تحت الشجر الملتف والفناطر الحيرية ؟
— مولاي : هذا النيل ..
فيلنا القديم !
— أين ترى بعمل .. أو بغيره ؟
— مولاي :

كنا صبيحة نندس في ثيابه الصيفية
فكيف لا لذكره ؟

وهو الذي بُذِر في المذبايح والفصائد الشعرية ؟
— هل كان قائداً ؟
— مولاي : ليس قائداً .

لكننا السباح في مطالع الأعوام
بأنون كي يروه ..

— أو .. ويصوّرونه لكي يشهروا بنا
بوجهه الباكى .. وكوفيته الفطنية
.. تعال كي نودعه في ملجأ الأيتام .
— مولاي :

هكذا تحب الصبايا .. والرعاة .. والأغنام

وَأُمُّ كَلْتُومٍ نَغْنَى لَهُ ..
فِي وَصْلَتِهَا الشَّهْرَبَّةُ !

— النَّبِيلُ !

أَيْنَ يَا تُرَى سَمِعْتُ عَنْهُ قَلِيلَ الْيَوْمِ ؟
أَلَيْسَ ذَلِكَ الَّذِي ..

كَانَ بِضَاجِعِ الْعَذَارَى ؟
وَيَحِبُّ الدَّمَّ ؟ !

— مَوْلَايَ : فَدِ نَسَافَطْتُ أَسْنَانَهُ فِي الْفَمِ
وَلَمْ يَتَعَدَّ يَنْفَوَى عَلَى الْحَبِّ .. أَوْ الْفُرُوسِيَّةِ

— لَا يَدُ أَنْ يَبْرُزَ لِي أَوْرَاقَهُ الشَّخْصِيَّةِ
فَهُوَ صَمُوتٌ !

يَصَادُقِي الرِّعَازُ ..

يَبْطِئُ الْفَرَى ..

وَيَدْخُلُ الْبُيُوتَ ..

وَيَحْمِلُ الْعَشَاقَ فِي الزُّوَارِفِ اللَّبْلِيَّةِ

— مَوْلَايَ ؟ هَذَا النَّبِيلُ .. !!

— لَا شَأْنَ لِي بِتَبْلُوكِ السُّرُودِ الْمَجْهُولِ
أُرِيدُ أَنْ يَبْرُزَ لِي أَوْرَاقُهُ الرَّسْمِيَّةِ :

شَهَادَةُ الْمِيلَادِ .. وَالتَّطْعِيمُ .. وَالتَّأْجِيلُ
وَالْمَوْطِنُ الْأَصْلِيُّ .. وَالْجَنْسِيَّةُ
.. حَتَّى يُمَارِسَ الْحَرِيَّةَ !

— ٣ —

.. وَيُؤَلِّقِي الْمَعْلَمُ مَقْطُوعَةَ الدَّرْسِ ،
فِي نِصْفِ سَاعَةٍ :

(سَنَفِي السَّنَابِلِ ..

وَنَفِي الْبَلَابِلِ ..

نَعْرُدُ فِي أَرْضِنَا .. فِي وَدَاعَةٍ ..)

وَيَكْتَسِبُ كُلُّ الصِّغَارِ بِصَدْقِ وَطَاعَةٍ :

(سَنَفِي الْفَتَابِلِ ..

وَنَفِي الرِّسَائِلِ ..

تُبَلِّغُهَا أَهْلَنَا .. فِي بَرِيدِ الْإِذَاعَةِ)

(١٩٧٠)

• • •

يهزُّ فرطها الطويل ..
يرافقُ ارتعاشَ ظله ..
على تَلَفُّاتِ العُنبِ الجميلِ
وعندما تَلْفُظُ بذَرِّ الفاكهةِ
ونظفَىءُ النِّبْغَةُ في المنقِضَةِ العنْبَقِ الطرازِ
نفول عيناها : اسرح !
والشفتان .. شوكتان !!

• • •

(نَبْغِيْنُ أَنْب : شَبَحَا يَفْصِلُ بَيْنَ الْأَخْوِيْنَ)
وعندما يفورُ كَأْسُ الجُعَةِ المملوءِ ..
في يَدِ الكَبِيرِ :

يفنطُلُ المُنْفُولُ مَرْنِيْن !
أَتَأْذِنُ لِي بِمَعْطَفِي
أُخْفِي بِهِ ..
عَوْرَةً هَذَا الْفَجْرِ الْغَارِقِي فِي الْبَحِيرَةِ
عَوْرَةً هَذَا الْمُسْوِلِ الْأَمِيرِ

الوقوف على قدم واحدة !

كادت نفولُ لِي « مَنْ أَنْتَ ؟ »

.. .. .

(.. العُفْرُبُ الْأَسْوَدُ كَانَ يَلْدَغُ الشَّمْسَ ..
وعيناها الشَّهْبَانِ نَلْمَعَانِ !)
— أَأَنْتَ ؟

لَكُنِّي رَدَدْتُ بَابَ وَجْهِ .. وَاسْنَكْتُ
(.. عَرَفْتُ أَنَّهَا ..
تنسى حَزَامَ خَصْرِهَا .
في العَرَبَابِ الْفَارِهَةِ !

• • •

أَسْفَطُ فِي أَنْبَابِ اللَّحْظَاتِ الدَّنَسَةَ
أُنْشَاغُلُ بِالرُّشْفَةِ مِنْ كُوبِ الصَّمْتِ الْمَكْسُورِ
بِمِطَارِدِفِ قَرَارِشِ الْوَهْمِ الْخَمُورِ
أُنَلَاشِي فِي الْخَبْطِ الْوَاهِنِ :
مَا بَيْنَ شُرُوعِ الْخَتْمِ .. وَالرَّقَبَةِ
مَا بَيْنَ الْقَدَمِ الْعَارِبَةِ وَبَيْنَ الصَّحْرَاءِ الْمَلْنِيَةِ

وهو يحاور الظلال من شجرة إلى شجرة
يطالع الكف لعصفور مكسر السافين
بلقط خبة العينين
لأنه صدق — ذات ليلة مضت —
عطاء فمك الصغير ..
عطاء حلمك الفصير ..

رَبَاب

- ٩ -

جلسنا الأولى : وعيناك الملبنان بالفضول ..
تفتشان عن بداية الحديث ،
واينسامة حجول ..
في شغليك العذبين ، وارنباكنا يطول ..
في اللحظات الصميص والظما ..
غرت فوق مسند المقعد
قلت ما يقال عن رداة الطفسي ،
تسمرت عيناى في استدارة البافى
في معطفك الجميل .
وكان صوتك المغنى بتحسس الطريق في شرايينى ،
وبمسح الصدا
وكنت ألوى في رباط عنقى ،
أزبت ظهر قلبي ،
أمسح خبط القرق الضميل .
نصر : شرعاً في زجاج الباب ،

بأن الزخرف المنقوش في مفارش الموائد ،
الوردة .. وهي تمنحني في الكوب ..
شفاها الذبول .

كما كانت تتكىء على !
في إصبعها خاتم الذهب
تر على جبينه بأناملها الرخصة .

نهجی فی الأحزان ؟

أشهد فانتني نسندقء ..
في أحضان الفرصان ؟

— 1 —

لج وجهك المضيء .. يا رباب
مستطيل النور عندما يشع ..

فی انفراج باب

وَجِجَ اللِّفَافَةُ الْأَخْيَرَةُ
تَمَّ الْمَنَافِضُ الْمَرْوُفَةُ
تَمَّاتِ اللُّوْحَةُ الْمُعَلَّفَةُ
تَوَرَّجَةُ الْفَرَّاشُ فِي السَّقْفِ ،

وفي اخلافة الكتاب

خوبان الثلج في الأكواب

لبلثها : عيناك هانان الملبتان بالفضول
طاردتاني لحظة بلحظة ..

في دوران السلم الطويل
وفي سريري ظلنا نغتنب آخر الليل
وحين ضاق الصدر بالحنين .. وامتلأ
زفرنا حوني

فَفَلْتُ .. فَلْتُ لَهَا كُلَّ الَّذِي أُرِدْتُ أَنْ أَفْعَلَ ..

(.. کنا جارین طوبلا

وخلج عبون خضر نرمو فيه
أشرعه الشوق
فلى ما كاد يشب عن الطوق
حتى أبخر في عينها الواسعين
بحركه الأولى

.. لكنى أشهدا - الليلة - نكيت عليه ..

في رثّة الملاعن الصغيرة
في صمغ المذيع برهة قصيرة
في ثقبّات الظل في الثّباب
في غشي النوافذ الصامت ..
بعد أن ينفثع الضباب .

• • •

(.. بالرج المقهورة
بالأمكنة المهجورة
بسنى الحبّ الغارب
بالفمر الشاحب
وبأعوامى السنة عشر
وبخصلة شقر :
أقسم ألا يسقط قلبى في ..
مترك الهدب الأسود .
ألا أفنح — يوماً هذا الباب الموصد !
- ٣ -

كيف ضعفت في نهاية المطاف ؟

وارغمت في عينيك من عبثى ؟
وكل شيء حولنا يُملئ علينا أن نخاف ؟
.. لكننى أنزع قلبى من نعومة البدء
ومن لبونة الدفء ..
وأحنى — كالسحفاة — بالغلاف !!

فصل من قصة حب

لها حفية مدلاة ، وشعر عَجْرى !
(عرفت عنها الفصص الكثيرة :
على أربكة الفطار ..
ضاجعها اثنان ،
وخلف سائر الغارات في المبدان .. في الظهرة .
.. وضاجعها امرأة على البلاج الذهبى
وجسمها الخارج من بحارة البحر ..
مُنْدَى بالآلىء الصغيرة !)

• • •

حين التفينا : لم تسَل من أنت ..
أو من أين ؟
وفلكتى خلصة ونحن في المنرو ..

مُحَاصِرَتِن .. وَافْقِن !

وفيلتى وأنا أخرج مفناحى ..

أمام غرفتى الفغيرة !

وفيلتى .. حالما أَغْلَقْتُ الباب وراء ظهرها ..

لامعة العيْن !!

* * *

لا نهدها (الجمامة التى هم بانعطافها)

ولا المحسار الثوب فوق ساقها

هو الذى حاصرتنى فى الجسد — الجزيرة .

لكنه .. شىء بها .. كأنه الينم ..

كأنه الفراز ..

ينوب ما بين ذراعى : فتهدا السريرة

ونلتوى الأنامل البيضاء حول كينفى ..

كأنما نحن : الغريق .. والحطام الحشنى !

نمسلك فى ..

فى لحظة احترافها ..

فى لحظة النخلتى عن عنافها !

نمسلك فى ..

حتى مع استرخاءة النوم القصيرة

إذا انفلتت من بدبها

وهى فى استغرافها !!

وصار بينى بيتنا معاً ، وصار ..

أرجوحة وثيرة .

وصارت الألفه ثوباً واحداً

نلبسه نحت جلودنا

فلا يلى ..

ولا بلحفة الغبار !

عارية — إلا من الحب — نروح ونجىء

يأتى غناؤها بصوتها الناقء

وهى نرش الماء فى الحمام ،

أو .. جالسة على الأريكة الأثيرة

وهى تُسوى شعرها ،

أو .. وهى عند الفاز

تُعد فيها فهو الأفظاز

أو .. نمنح الرونقى للأشياء

فى لمسها الخبيرة

نكوى المناديل الحريئة .. والثورة

أو نمسح الغبار حول صورة !

وها أنا بعد رحيلها المفاجيء

أعمى بلا بصره .

فتشتُ عنها كل حانات المدينة الكبيرة

وعرف الطلاب ..

والمسنشغباب ..

والملاجيء ..

لكنتى لم أر غير الوحشة المريعة

وذكر بانها المنشورة

في البيت ، في مكانها ..

نتنظر اليد الأميرة

نتنظر الخط .. الذى ينظم اللآلئ .

• • •

— كأسك !

— حان موعد الاغلاق .

— لم نبق الا فطرة أخيرة .

— كأسك !

.. لن نعبدها الأشواق !!

الهجرة الى الداخل

أترك كل شيء في مكانه :

الكتاب ، والفنيلة الموقونة

وفدخ القهوة ساخناً ،

وصيدلية المنزل ،

واسطوانة الغناء .

والباب مغفور الفم ،

.. الباب .. وعين القطعة الباقونة .

أترك كل شيء في مكانه ،

وأعبر الشوارع الضوضاء

مخلفاً خلفي : زحام السوق ..

والنافورة الحمراء ..

والهباكل الصخرية المدحونة

أخرج للصحراء !

أصبح كلباً دامي الخالب

أنبى حتى أجد الجنة ،

حتى أفضم الموت الذى بدئس التراب !
أدس في الحفرة وجهي الشرة المحموم
نصبح يوماً مصمناً حول فمي المنكفىء المزموم
وصارخاً في رحم الأرض ..
أصبح : يا بساط البلد المهزوم ..
لا نسحب من تحت أقدامى ..
نسقط الأشياء ..

من رفها الساكن في خزانة التاريخ ،
نسقط المسلمات والأسماء !
أصرخ .. ليس يهمل الصوت
أصرخ .. لا يجيب إلا عرق التربة والسكون والموت
ويستدير حول رأسي الظنين ،
ويلوم الهواء
أسقط واقفاً ..

وخائفاً .
أن يحمل الصدى ندائى للهواثبات ..
فوق أسطح البيوت
أن نفثي الرمال صوتي المضىء ،

صوتى المكبوت !
أبكي إلى أن يستدير الدمع في الحفرة
أبكي .. إلى أن عهد الثورة
أبكي إلى أن فرسخ الحروف في ذاكرة التراب
أعود ضالاً ..

أتبع الأسلاك ، والدم الركام ،
والدم المنساب
أبحث عن مدينتي التي هجرتها ..
فلا أراها !

أبحث عن مدينتي :
يا لرم العماد
يا لرم العماد
يا بلد الأوغاد والأجناد
رُدنى إلى : صفحة الكتاب
وفدح الفهوى .. واضطجاعنى الحميمة
فيرجع الصدى ..
كأنه اسطوانة قديمة :

يا لرم العماد
يا لرم العماد

رُدِّيْ إليه : صهوة الجواد
وَكُتِبَ السحر ..

وبعض الخبز في زوادة السفر
فقلبه الذي انشطر

يرفد فوق زهرة اللوتس في المنفى ،
بطالع المكتوب
منتظراً حتى يقوّر الكوب
في بدي ،

بدبر فوق جسمه ردائه المقلوب
لكي يعود في مواسم الحصاد
أغنية .. أو وَرْدَة
للباحثين عن طريق العودة !

حكاية المدينة الفضية

- ١ -

كنت لا أحمل إلا فلماً بين ضلوعى .
كنت لا أحمل إلا .. فلمى .
في يدي : خمسُ مرايا
تعكس الضوء (الذي يسرى إليها من دمي)
.. طارفاً باب المدينة :
— « افتحوا الباب »

فما ردّ الحرس
— « افتحوا الباب .. أنا أطلب ظلاً .. »
قبل : « كلاً »
..

أمطري يا قبضة الزيد التي تُدعى سُحْبُ
أمطري رغوتك الجوفاء في كوب الذهب
هذه الأسوار ما رقتَ لدغاتي الحزينة
وشعاعُ القبة الفضية الملساء يغل ..
في مرايا المدينة

آه لو أملك سبفا للصراع

آه لو أملك خمسين ذراع :

لنسلمت — بإيماني الهرفلى — مفاتيح المدينة

آه .. لكنى بلا حنى .. مؤونة ! .

• • •

أبها العشب الذى ينضج حُمى

لئننى أنشدُ فى جنبك .. حلما

(.. واسكنك شقة الوهج على وجهى طويلا ..)

ربما يُفتح هذا الباب يوما

أبها العشب الذى ينضج حُمى

شمسنا مطفأة العين .. دوما !

يا طرين النل (حبه الغبة الملساء تبدو ..

صنما ضحما تُحدى المستحيلا)

يا طرين النل :

ما زالت على جنبك آلاف التفاهات ..

لسكان الضباب المصمتة

من فعمات البقايا المبتة

وزجاجات محوٍ فارغة

وكلاب والغة

ورماي ، وورق !

آه .. يا ذكرى الحنين المحرق

آه ، كم كُنا — كما كنت — نرثُ النور والشوق النبيل

ونهدجنا غناء ..

ونهدجنا بكاء ..

ونهدجنا .. فُضولا

ثم .. لم تلق من الحب عدا : باهاً بخيلا !!

- ٢ -

فرقعتُ فى الصمت حولي عجلات المركبة

- « أوقف الخيل »

أطلت :

- « من ترى أنت ؟ »

فأومأت مجيبا

قلت : « اصعد »

— « آه يا ذوات العيون الطيبة

كل شيء ينتهز

كل شيء في دمي .. لا ينحدّد

أنا لا أملك حتى كلمات الشكر ..

حتى كلمات الشكر .. ولت !

— « أغرب ؟ »

فلت : ما عدت غريبا

بيتنا كان على ربوة نجمة

كم فرأنا فيه عن سحر لياليك كثيرا

عن جبين بهب العمر تناهض ورحمة

ورسنا وجهك المعبود فوق المنزل

وعلى صدر الربيع المغيل

ونعشفتاك : حزنا أرجو أنبا أمرا

ونعشفتاك : شغرا كستائيا غريبا

ونعشفتاك : ثوبا جدلته الحور ..

من زهو المطر

وعشفتنا فبك : حتى تحلق المجلوب من وادي القمر !

قالت : « اهدأ ..

سوف تحكي لي هناك .. »

وأشارت نحو قصر الفية المساء ،

ثم استطرذت :

إنه مُلك أُنَى !

عندما كان (سليمان) ولنا

لم يكن بملك هذا الفصر ذا المليون باب

فيل مكتوب على جدرانه الماسية الزرقاء ..

أحلام شباب

فيل في الساحة نافورة خلّد

وعلى الباب نفوس أنيرة .

آه .. يا حراسه .. هذا أنا !!

إرفعوا الأيدي وأدوا لي النجاة

ارفعوا المزلاج .. فالركب يسير

« يد مولاني » ..

ومدت يها (بدر البدر)

نصعد السلم : با معراج ما كنت نبيا !

أنا في البلور حولي في السنة : ألف أنا

فامض با معراجنا نحو الجناح

واعزقي با جوفة المباد لحن الإفتاح !

• • •

ربما تُنفق كل العمر كي تنفب ثغرة
لهمر النور للأجبال .. مرة 1

..

ربما لو لم يكن هذا الجدار :
ما عرفنا غيمة الضوء الطليق !!

- ٣ -

شَفَّةٌ تلجئة في جبهتي نسرى .. ملحة
« قد أتى الصبح ... فقم »
شدق السباف من أشهى حلُم
حاملأ أمر الأميرة

— « أنا يا مسرور معشوق الأميرة
لبلة واحدة تُفضى .. بدم ؟
يا نرى من كان فبنا شهريار ؟
أنا يا مسرور .. »

(مسرور على الباب : رخام)
— « أنا يا مسرور لم أسعد من الدنيا بفرحة
أنا لم أبلغ سوى عشرين عام

سكرت كاساتنا من حجر بابل
ألف خبط في دمانا .. بسند
— « آه يا سبدي : أنت فلك ..
أنا لأحمل إلا فلقاً بين ضلوعى ..
فخذيه .. إنه أثن ما عندى .. خذيه »
ومشت راحتها فوق جيبتي ،
هنف في : « شهريار »

— « شهرزادى : أسكى شهذ الرحيق المتواصل
ثم قصى من حكاياك الجديدة
من زمان لم أَعُدْ أسمع أشياء جديدة
— « لبيك يا مولائى .. قالوا
ثم لم تملك قوانا
وعلى الجدران لوحات فريدة
لرغيف .. وزجاجات من الخمر .. وراع ..
فقطع !
(آه .. ما أفسى الجدار
عندما نهض في وجه الشروق !

خذ ثيابي .. خذ مراياي المنيرة ..
— « حسناً ، فاهرب من الباب الذي في آخر الممشى
ولا ترجع هنا »

با طريق النل حيث الفبة الملساء .. خلفي
حيث مازالت على جنبك آلاف النفايات ..
لسكان المدينة :

الكلاب الوالغة ..

وزجاجات الخمور الفارغة ..

وأنا .. أحمل اقدمي الحزينة !!

الضحك في دفيقة الحداد !

.. ووقفنا في العراء

بينما أغيدذ .

انتظرنا ان يمر الشعراء

ربما بمنحنا دفء الغناء

ربما .. لبلذ حب واحدة .

وتصننا لوقع الخطم ، غربلنا الهواء

لم يكن إلا .. سكوت الصحراء

وطنين الأفدة !

• • •

عالم تحت الصفر .. صفّر اليد جاء

حين كنا في ضمير الليل روحاً محمّدة .

طُرف الباب ، ونادى في حياء

فاستدبرنا في فراش النوم ،
أحكمتنا الغطاء
ونركناه هبات الرياح الباردة .

• • •

كنت في المفهى ، وكان البيغاء
يفرأ الأنباء في ففران حفل الفمج ،
فوق الفرذة
وهى نجر النراجيل ، ونزو للنساء .

.. :. ..
(— رفع أثمان جميع الأسمدة)

..

.. النساء الفطط — الأفراس — سمان العشاء
وعبون الرغبة الففران نبتل بأصداء المواء .

..

(— رفع سعر الصوف ..)

.. .. ما من فائدة !

كأذت السبارة الحمراء أن نفصم ظهر السيدة
والنساء — الفطط — الأرياء يخلعن الرداء

..

(— ثائر بقتل في طهران بالأمس — رئيس الوزراء)

..

رفعة الشطرنج : مات الشاه ، دور الأبناء ..
هرم الأبيض فيه أسوده
حين كنا في ضمير الليل روحا مجهدة .

..

تلحق الففران في الجحر نراب الإشباه
وهى نجر النراجيل ، ونزو للنساء
النساء — الفطط الكسلي ،

..

.. (استنبأك عسكري في النساء)

برهة : نرتفع الأعين عن طاولة الزهر وموسيقى النساء
تشرق النظرة من تحت الجفون الخالدة

..

(مجلس الأمن يوالى ..)

.. .. يعود الإنحاء

نجلس العبن على نقش البلاط الفرفصاء
ثم نساءه ، ونطوبها فنون العريضة !!
قال لي :

« ها هو بهو الأعمدة »

.. ..

من هنا مررت خبول الخيلاء
من هنا مررت .. فلم يبدفن لها قتلى ،
ولم تُحقن دماء .

حطت الحداثة فوق المائدة

رفع النسر عن الشمس . يده
فهوت ، والأرض غطّاها الوباء .

.. ..

نقشة الجدران في فلبس ،

وفي عيني الرمال الرافدة

الرمال الراضات — اليوم — من حول البناء
الرمال — الندم الحارق لي بحبر وماء .
يا بقايا الموماء :

نحن أسبلنا العيون الرميّة

حين أنكرناك قبل الفجر ..

(والفجر إلى اللحظة لم يأت ،)
وجاء ..

بدلاً منه : الوباء ،

كلما استشرقت النظرة أفق النور : شمت جسده
فراحت .. مُفعدة ،

وانظرنا الصيف في فصل الشتاء

واغتسلنا ننشد البرء نهار الأربعاء

ودعونا الله أن يكشف عنا الغمة المتعقدة :

أعطنا ليلة حب واحدة

أعطنا ليلة طهر واحدة

أعطنا ليلة صدف واحدة

وتسّمنا صدى الدعوة ، غربلتها الهواء

لم يكن إلا .. الوباء

جرباً تحت الجلود :

الظفر لا يجدي ..

ولا يجدي الدواء !

جرب أوغل . حنى الأثدة !!

.. ..

لا تلوميني .. إذا الطوفانُ جاء
.. .. .

(١٩٦٩)

ووقفنا في العراء
بيضا أعمدة ..
وتلقننا ، فأبصرنا عظامَ الشهداء
تتلوى في رمال الضحراء
نفصد النيل .. لكي يمنحها جرعة ماء
فسقاها .. كمنه !
ورأينا في مرابا مائه أوجهنا ..
كنا عراة نساء
خلفنا بصطك باب المصيدة .
.. والشفاه المرغبات المزينة .
تبارى في المنلفان ،
تدق المنضدة
ثم نسل إذا انفض البكاء
تنلهي بالصدور الناهدة
في حوائب الشواء ،
.. .. .
.. .. .
يا عصافير الشناء :

(بيان)

أبها السادة : لم يبقَ اختيار
سقط المهر من الإعياء ،
وانحلت سيور القرية
ضاقَت الدائرة السوداء حول الرقة
صدرنا يلمسه السيف ،
وفي الظهر : الجدار !

.. .. .

أبها السادة : لم يبقَ انتظار
فد منعنا جزية الصمب لمملوك وغنم
وقطعنا شعرة الوالي « ابن هند »
لبس ما نخسره الآن ..

سوى الرحلة من مقهى إلى مقهى ..
ومن عار .. لعار !!

- ١ -

على عطات القرى ..
ترسو قطارات السهاد
فتنطوى أجنحة الغبار في اسرخاء الدنو
والنساء المتشحات بالسواد
تحت المصاييح ، على أرصفة الرسو
ذابت عيونهن في التحديق والرؤ
عل وجوه الغائبين منذ أعوام الخداد
تشرق من دائرة الأحراب والسلو

.. .. .

ينظرون .. حتى تتأكل العيون
تأكل اللبالي ،
تأكل القطارات من الرواج والغنو
والغائبون في نراب الوطن — العنو
لا يرجعون للبلاد ..
لا يخلعون معطف الوحشة عن مناكب الأعباد !

سرحان يا سرحان
والصمت فد هذك
حنى منى وحذك
يُخْفِرُكَ السَّجَّانُ ؟

.. ..
نَفْتُلُ ، لَوْ نَفْتُلُ
هذا الحياتُ الصعبُ
وشلنا بالرعب ..
تُرَدُّ العُرْلُ

.. ..
في الببب ، في الميدان
نُفْتُلُ يا سرحان !

أخفرك الشاى ندور فى الفناجين ، ونشرب
يَلْنُمُ شَمْلُ الْعَائِلَةِ
.. إلا الذى فى الصخراء الفاحلة

نافورة حمراء .
طفل يبيع الفل بين الغريبات .
مقنولة تنتظر السبارة البيضاء .
كلب يجلك أنفه على عمود النور .
مفهي ، ومذباغ ، وترد صاعب ، وطاولات .
ألوية ملوئة الأعناق فوق الساربات .
أندبة لبنة .
كتابة ضوئية .
الصحف الدائمة العوان .. ييض الصفحات .
حوالط ، وملصقات ..
ندعو لرؤية (الأب الجالس فوق الشجرة)
والثورة المنصرة !
إبغاعات :

مرفد في أمعاء طائر وذئب

(يهبط من صورته المقلبه

يلتف حول رأسه الدامي شريط الحزن

يجلس قرب الركن

يصغي إلى ثرثرة الأفواه والملاعق المبتذلة

بنش في وقفته .. نصفين

بصب في منتصف الفنجان .. فطرئين
من دمه ،

ينكسر الفنجان .. شظيين)

ينكسر النسيان

وهو يعود باكياً إلى إطار الصرور المجلجلة

بآية القرآن !

الدم في الوسائد

بلونه الداكن

واللبن الساخن

نبيعه الجرائد

اللبن الفاسد

اللبن الفاسد

اللبن الفاسد

يخفي الدم — الشاهد

- ٤ -

أموت في الفراش .. مثلما غوث العير ،

أموت ، والنفير ..

يدق في دمشق ..

أموت في الشارع : في العطوب والأزياء

أموت ، والأعداء ..

ندوس وجه الحق .

إبقاعات :

الدم قبل النوم

نلبسه .. رداء

والدم صار ماء

يراق كل يوم

« وما يحسى موضع إلا وفيه طعنة برمح »
.. إلا وفيه جرح ،
إذن .

« فلا نامت عبون الجبناء »

لا وقت للبكاء

لا وقت للبكاء .

فالعلم الذي ننكسبه .. على سرادق العزاء
مُنكس في الشاطئ الآخر ،
والأبناء ..

يُسْتَشْهِدُونَ كى يقبموه .. على « ثمة » ،
العلم المسجوع من حلاوة النصر ومن مرارة النكبة
خبطاً من الحب .. وخبطين من الدماء
العلم المسجوع من خيام اللاجئ للعرء
ومن مناديل وداع الأمهات للجنود :
في الشاطئ الآخر ..

ملفئ في العرى ..

ينهش فيه الدود ،

ينهش فيه الدود .. واليهود

فانخلعي من قلبك المفقود

١٩٧٠

مفانلين .. قمقائلين .. في الحَلْيَةِ .

• • •

الشمسُ (هذه نأتى من الشرق بلا استحياء)

كيف تُرى نمرُ فوق الضفة الأخرى ..

ولا نجيءُ مُطْفَأَه ؟

والنسمَةُ التى نمرُ فى هُبوبها على عِثَمِ الأعداء

كيف تُرى تَسْمَعُها .. فلا تَسُدُّ الأنف ؟

أو تَحْنَرُ الرقَّة ؟

وهذه الخرائطُ التى صارتُ بها سبَاء

عِجْرَةُ الأسماء

كيف نراها .. دون أن يصيبنا العمى ؟

والعارُ .. من أُمَّتِ السَّجْرَاء ؟

.. والطفلةُ الصغيرةُ العذبة

تُطلَقُ — فوقَ البيبِ — « طَبَّارَتُهَا » البيضاء

كيف تُرى نَكُتُبُ فى كَرَامَةِ الإنشاء

عن بيننا المهذَّوجِ فوقَ الأبِ .. واللعبةُ ؟

وأُمِّى التى تَظَلُّ فى فناءِ البيتِ مُنَكَّبَةً

فها على أبوابك السبعة ، با طِيَّة ..

باطِيَّةُ الأسماء :

بُغْمَى أبو الهول ،

وُبُغْمَى أُمَّةُ الأعداء

مجنونةُ الأنبياءِ والرغبة ..

تَشْرَبُ من دماءِ ابنائكِ فَرِيَّة .. فَرِيَّة

تَفْرَشُ أَطْقَالَكِ فى الأرضِ بساطاً ..

للمدْرَعَاتِ والأَحْذِيَةِ الصَلْبَةِ

وأَنْتِ نيكين على الأبناء ،

نيكين ؟

با ساقِيَّةُ دائرةٍ تَنكسرُ الحنين ..

فى قلبها ، وتُبلِّكُ الجارى على خَدِّ النَجْوَعِ

بحرى دموع

ضفافه : الأحزانُ والغربةُ ،

نيكين ؟ مَنْ تَبْكِينَ ؟

وأَنْتِ طَوَّلَ العمرِ — نَشَقِينَ ، وَغَصْدِينَ ..

مرارةُ الحَيَةِ

وأَنْتِ — طَوَّلَ العمرِ — نَبْغِينَ ، وَصُجَّجِينَ ..

مفروحة العنين ، مسترسلة الرنء
تنكث بالعود على التربة :

رأيتها : الحسناء

نرتي شبانها المستشهدين في الصخراء .

رأيتها : اسماء

نيكى ابنتها المقتول في الكعبة .

رأيتها : شجرة الدر ..

نرد حلقها الباب على حثان (نجم الدين)

تعلق صدرها على الطعنة والسكين

فاجند في الدلتا

ليس لهم أن ينظروا إلى الوراء

أو يدفنوا الموتى

إلا صبيحة العيد المنتصر الميمون

.. .. .

(.. والنبي والزيتون

وطور سينين ، وهذا البلد المحزون

لقد رأيت يومها : سفائن الإفرنج

نفوس تحت الموج .

وملك الإفرنج

بغوص تحت السرج .

وراية الإفرنج

نفوس ، والأقدام تقرى وجهها الموعج ،

.. وها أنا — الآن — أرى في غدك المكنون :

صبفا كتف الوهج

ومدنا ترنج

وصفنا لم تفتح

ونجمة نسفط — فوق حائط المبكى — إلى الد

وراية (العقاب)

ساطعة في الأوج ..

.. .. .

والنبي والزيتون

وطور سينين ، وهذا البلد المحزون

لقد رأيت ليلة الثامن والعشرين ..

من سبتمبر الحزين :

رأيت في هنايف شعبي اجرّيح
 (رأيت خلف الصورة)
 وجهك .. يا مصورة ،
 وجه لوبس التاسع المأسور في يدي صبيح

 رأيت في صبيحة الأول من تشرين
 جندك .. يا حطّين
 يبكون ،
 لا يدرون ..
 أن كل واحد من الماشين
 فيه .. صلاح الدين !

(٢٨ شهر ١٤٢٠)

العهد الآتي

وقال الرب الاله هو ذا الانسان قد صار كواحد من عارة
الحلم والشر .

المهد القديم

تك ٣ : ٢٢

ملكيتي لبست من هذا العالم . لو كانت ملكيتي من هذا العالم
لكان بخدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود .

المهد الجديد

يو ١٨ : ٢٦

أبانا الذي في المَباحِث . نحن رعاياكَ . باقٍ
لَكَ الجيُروُثُ . وباقي لنا الملكُوثُ . وباقي لمن
تُحَرِّسُ الرُّهُبُوثُ .

• • •

تفرَّدت وحدك باليسر . إن اليقينَ لفي الحُسْرِ .
أما اليسارُ ففي العُسْرِ . إلا . الذين يُمَاشُونَ .
إلا الذين يَمِشُونَ يَمُحِشُونَ بالصَّحيفِ المُشْتَرَاةِ
العيونَ .. فَيَمُحِشُونَ . إلا الذين يَمُشُونَ . وإلا
الذين يُمُشُونَ ياتقات قمصانهم برباط السكوت !
تعاليت . ماذا يَهْمُكَ ممن يذمُّكَ ؟ اليوم يومك
يرق السجينُ إلى سُدَّةِ العرشِ ..
والعرشُ يصبحُ سَجَنًا جديدًا وأنت مكانك . قد

يَنْهَدُ رَسْمُكَ وَاسْمُكَ . لَكِنْ جَوْهَرُكَ الْفَرْدُ
لَا يَتَحَوَّلُ . الصَّمْتُ وَهَمْلُكَ . وَالصَّمْتُ وَمَا
وَالصَّمْتُ — حَبِيبُ النَّفْسِ — يَرِينُ وَيَسْمُكُ
بَيْنَ خِيوطِ بَدْيِكَ الْمُشْبِكِينَ الْمُصَمِّغِينَ بِلَفِّ
الْفَرَاشَةِ .. وَالْعَنَكُوتِ .

• • •

أَيُّهَا الَّذِي فِي الْمُبَاحِثِ . كَيْفَ تَمُوتُ .
وَأَغْنِيَةُ الثَّوْرَةِ الْأَبَدِيَّةِ
لَيْسَتْ تَمُوتُ ؟!

(الاصحاح الأول)

فِي الْبَدءِ كُنْتُ رَجُلًا .. وَامْرَأَةً .. وَشَجَرَةً .
كُنْتُ أَبًا .. وَابْنًا .. وَرُوحًا قُدُّسًا .
كُنْتُ الصَّبَاحَ .. وَالْمَسَاءَ ..
وَالْمُخَذَّقَةَ الثَّابِتَةَ الْمُدَوَّرَةَ .
وَكَانَ عَرْشِي حَجَرًا عَلَى صَفَافِ النَّهْرِ
وَكَانَتِ الشَّبَابَةُ ..
نَزَعِي ؟ وَكَانَ النُّحْلُ حَوْلَ الزُّهْرِ ..
يَعْنِي ؟ وَالْإِوَرُ يُطْفَو فِي بَحْرِ السَّكُونِ ،
وَالْحَيَاةِ ..
تَنْبُضُ — كَالطَّاحُونَةِ الْبَعِيدَةِ !
حِينَ رَأَيْتُ أَنَّ كُلَّ مَا رَأَى
لَا يَنْقُذُ الْقَلْبَ مِنَ الْمَلَلِ !

(مبارزات الديكة)

كانت هي النسلية الوحيدة

في جلستي الوحيدة

بين غصون الشجر المشبكة !

(الاصحاح الثاني)

فلت نفسي : لو نزلت الماء .. واغتسلت .. لانفسمت

(لو اتفسمت .. لازدوجت .. واتسمت)

وبعدما استنعمت ..

تقاسم الزهر وشاحاً من حرارة الشفاه

لففت فيه جسدي المصطك .

(وكان عرشي طافياً .. كالفلك)

ورق عصفور على رأسي ؛ وحط بفيض البزل

حذفت في فزارية المياه

حذفت ؛ كان ماأراه

وجهي .. مكللاً بناج الشوك !

(الاصحاح الثالث)

فلت : فليكن الحب في الأرض ؛ لكنه لم يكن !

فلت : فليذهب الثبر في البحر ، والبحر في السحب ،

والسحب في الجذب ، والجذب في الخصب ، ينمنا

عجزاً ليسند قلب الجبايع ، وعشياً لماثية

الأرض ، ظللاً لمن يتفرّب في صحراء الشجن .

ورأيت ابن آدم -- ينصب أسواره حول مزرعة

الله ، يبتاع من حوله خرساً ، ويبيع لإخوته

الحيز والماء ، يحتلب البفرات العجاف لتعطي اللبن .

فلت فليكن الحب في الأرض ، لكنه لم يكن .

أصبح الحب ملكاً لمن يملكون الثمن .

... ..

ورأى الرب ذلك غير حسن !

... ..

قلت : فليكن العدل في الأرض ؛ غبن بغين وسين بسن .

قلت : هل بأكل الذئب ذئباً ، أو الشاة شاة ؟

ولا نضع السيف في عنق اثنين : طفل .. وشيخ !

ورأيت ابن آدم يردى ابن آدم ، يستعل في
المدن النار ، يفرس حنجره في بطون الحواميل ،
يلقى أصابع أطفاله علقاً للخبول ، يقص الشفاة
وروداً تزيّن مائدة النصير .. وهى تئن .
أصبح العدل موتاً ، وميزانه البندقية ، أبنائه
صلبوا في الميادين ، أو شتقوا في زوايا المدن .
قلت : فليكن العدل في الأرض ، لكنه لم يكن .
أصبح العدل ملكاً لمن جلسوا من عرش الجماجم
بالطبلان —

الكفن .

ورأى الرب ذلك عبر حسن !

• • •

قلت : فليكن العقل في الأرض ، نصفي إلى صوته للترن .
قلت : هل ينسى الطير أعشاشه في قم الأفقوان ،
هل الدود يشكن في هب النار ، والبوم هل
يصع الكحل في هدب عينه ، هل يبذر الملح

من يرنجي الفمخ حين يدور الزمن
ورأيت ابن آدم وهو بُجن ، فيقتلع الشجر المتطاول ،
يبصق في البئر ، يلقي على صفحة المهر بالزيت ،
يسكن في الويب ، ثم يُخبيء في أسفل الباب
قبلة الموت ، يؤوي العقارب في دفء أضلاعهم ،
ويورث أبنائه دثنه .. واسمه .. وفميص الفئتن .
أصبح العقل مُغترباً بنسؤول ، يذفقه صبيته
بالحجارة ، يوقفه الحنذ عند الحدود ، ونسحب
منه الحكومات جسيمة الوطني .. ونُدبرجه في
فوائهم من بكرهون الوطن .

قلت : فليكن العقل في الأرض ، لكنه لم يكن .
سقط العقل في دورة النفي والسجن .. حتى بُجن

• • •

ورأى الرب ذلك عبر حسن !

(الاصحاح الرابع)

قلت : فلنكن الريح في الأرض ، نكنس هذا القفر
قلت : فلنكن الريح والدم .. نفتلع الريح فسنت

الورق الذابل المُنشِب ، بندلع الدم حتى
 الجنود فيزهرها وبطهرها ، ثم يصعد في
 السُوق .. والورق المُنشابل . والتمر المُنذلي ؛
 فيعصره العاصرون نبيذاً يزغرد في كل دن .
 قلت : فليكن الدم نهراً من الشهد ينساب تحت فراديس عذراء
 هذه الأرض حسناء ، زينتها الفقراء ، لهم تقطيب ،
 يعطونها الحب ، نعطيهم النسل والكربلاء .
 قلت : لا يسكن الأغنياء بها . الأغنياء الذين
 يصوغون من عرف الأجراء نُقود زنا .. ولآلئ
 نأج . وأفراط عاج .. ومسيحة للرياء .
 إني أول الفقراء الذين يعيشون مُغتربين ،
 بموئود مُحتسبين لدى العزاء .
 قلت : فلنكن الأرض لي ... ولهم !
 (وأنا بينهم)
 حين أطلع على ثياب السماء .
 فانا أقَدِّمُ — في صرخة الجوع — فوق الفراش الخشون !

(الأصحاح الخامس)

حَذَفْتُ في الصخر ؛ وفي التَّبَوُّغِ
 رَأَيْتُ وجهي في سيمات الجَوْغِ !
 حَذَفْتُ في جَبِينِي المَقْلُوبِ
 رَأَيْتُنِي : الصليب والمصلوب
 صرختُ — كنتُ خارجاً من رَحِمِ الهنأة
 صرختُ ؛ أطلبُ البراءة
 كَيْتُونِي : مشنقي
 وحَبْلِي السُّرِّي ؛
 حَبْلُهَا
 المفلطوح !

(الاصحاح الثانى)

دَقَّتِ السَّاعَةُ الْمُتَعَبَةُ

رَفَعَتْ أُمُّهُ الْعَلِيَّةُ

عَيْنَهَا ..

(دَفَعَتْهُ كُحُوبُ الْبِنَادِقِ فِي الْمَرْكَبَةِ !)

... ..

دَقَّتِ السَّاعَةُ الْمُتَعَبَةُ

نَهَضَتْ ؛ نَسَقَتْ مَكْنَبَهُ ..

(صَفَعَتْهُ بِدَّ ..

— أَذْخَلَتْهُ بِدُّ اللَّهِ فِي التَّجْرِبَةِ —)

... ..

دَقَّتِ السَّاعَةُ الْمُتَعَبَةُ

جَلَسَتْ أُمُّهُ ؛ رَنَقَتْ جَوْرَبَةُ ..

(رَخَّزَتْهُ عِبُونُ الْمُحَفِّفِ ..

سفر الخروج
(أغنية الكهنة الحجرية)

(الاصحاح الأول)

أَيُّهَا الْوَاقِفُونَ عَلَى حَافَةِ الْمَذْبَحَةِ

أَشْهَرُوا الْأَسْلِحَةَ !

سَفَطَ الْمَوْتُ ؛ وَانْقَرَطَ الْقَلْبُ كَالْمَسْبُوحَةِ

وَالْدَمُ انْسَابَ فَوْقَ الْوِشَاحِ !

الْمَنَازِلُ أَضْرَحَتْ ،

وَالزَّنَازِنُ أَضْرَحَتْ ،

وَالْمَدَى .. أَضْرَحَتْ

فَارْفَعُوا الْأَسْلِحَةَ

وَاتَّبِعُونِ !

أَنَا نَذَمُ الْغَدِّ وَالْبَارِحَةِ

رَاهِنِي ؛ عَظْمَتَانِ .. وَجُمُجُمَةً ،

حتى تُفَجَّرَ من جلده الدَّمُ والأجوبة !)

... ..

دفت الساعةُ المنعبةُ !

دفت الساعةُ المنعبةُ !

(الاصحاح الثالث)

عندما يهبطين على ساحةِ القوم ؛ لا تَبْدَيْنِ بالسَّلامِ
فَهُنَّ الْآنَ يَفْتَنِسِيْمُونَ صِغَارَكِ فَوْقَ صِيخَافِ الطَّعَامِ
بعد أن أشعلوا النَّارَ فِي الْعُشِّ ..

والْفَشُّ ..

والسَّيْلَةُ .

وَعَدَاً يَهْذَبُونَكِ .. بِحَثَاٍ عَنِ الْكَثْرِ فِي الْخَوْصَلَةِ !

وَعَدَاً تُفَقِّدِينَ مُدُنَ الْأَلْفِ عَامَ .

مَدْنًا .. لِلخِيَامِ

مَدْنًا فَرَتَقِي دَرَجَ الْمَفْصَلَةِ !

(الاصحاح الرابع)

دفت الساعةُ الغاسيةُ

وقفوا في مباديها الجَهَنَّمَةُ الْخَلَوِيَّةُ

واستداروا على ذُرْجَاتِ النَّصْبِ

شَجَرًا مِنْ لَهَبٍ

نَعَصَفَ الرِّيحُ بَيْنَ وَرُيْقَاتِهِ الْغَضَّةِ الدَّانِيَةِ

فَيَتَيْنُ : • بِلَادِي .. بِلَادِي •

(بِلَادِي الْبَعِيدَةُ !)

... ..

دفت الساعةُ الغاسيةُ

• انظروا ! • هَنَفَتْ غَانِبَةُ

تَمَطَّيْ بِسَبَارَةِ الرِّقْمِ الْجُمْرُكِيِّ ؟

وَعَنَمْتَ الثَّانِيَةَ :

سَوْفَ يَنْصَرِفُونَ إِذَا التَّيْرُ دَحَلُ .. وَرَأَى النَّعْبَ

... ..

دفت الساعةُ الغاسيةُ

كَانَ مَذْبَاغُ مَفْهَى يَذِيعُ أَحَادِيثَهُ الْبَالِيَةَ

عَنْ دُعَاةِ الشَّغْبِ

وَهُمْ يَسْتَدِيرُونَ ؟

يَسْتَعْلُونَ — عَلَى الْكَعْكَةِ الْحَجَرِيَّةِ — حَوْلَ النَّصْبِ

شَمْعِدَانِ غَضَبٍ

(الاصحاح السادس)

دَقَّتِ السَّاعَةُ الْخَامِسَةُ

ظَهَرَ الْجُنْدُ دَائِرَةً مِنْ دُورٍ وَخُودَاتِ حَرْبٍ

هَآ هُمْ الْآنَ يَفْتَرِبُونَ رَوْبًا .. رَوْبًا ..

يَجِئُونَ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ

وَالْمُعْتُونَ — فِي الْكَمْكَةِ الْحَجَرِيَّةِ — يَنْفِضُونَ

وَيَنْفَرُخُونَ

كَنْبِضَةُ قَلْبٍ !

يُسْمَعُونَ الْخَنَاجِرَ ،

يَسْتَدْفِقُونَ مِنَ الْبَرْدِ وَالظَّلْمَةِ الْفَارَسَةِ

يَرْفَعُونَ الْأَنَاشِيدَ فِي أَوْجِهَةِ الْحَرَسِ الْمُقْتَرِبِ

يَسْبِكُونَ أَبْيَادِيَهُمُ الْعَصَّةَ الْبَائِسَةَ

لِتَعِزَّ سَاحِبًا يَصُدُّ الرِّصَاصَ !

الرِّصَاصُ ..

الرِّصَاصُ ..

وَأَهْ ..

وَالصَّوْتُ بِكَتْسَحِ الْغَنَمَةِ الْبَاقِيَةِ

يَتَقَنَّى اللَّيْلَةَ مِيلَادٍ مِصْرَ الْجَدِيدَةِ !

(الاصحاح الخامس)

أَذْكُرْنِي !

فَقَدْ لَوَّنَتْنِي الْعَنَابُونَ فِي الصُّحُفِ الْخَالَةِ !

لَوَّنَتْنِي .. لِأَتَى مِنْذُ الْهَزِيمَةِ لَا لَوْنٌ لِي

(غَيْرَ لَوْنِ الضَّبَاغِ)

فِيهَا ؛ كَنْتُ أَقْرَأُ فِي صَفْحَةِ الرَّمْلِ

(وَالرَّمْلُ أَصْبَحَ كَالْعَمَلَةِ الصَّعِيَةِ ،

الرَّمْلُ أَصْبَحَ أَبْسَطَةً .. نَحْتُ أَقْدَامَ جَيْشِ الدِّفَاعِ)

فَأَذْكُرْنِي ؛ كَمَا نَذْكُرِينَ الْمُهْرَبَ .. وَالْمُطْرَبَ الْعَاطِفِي ..

وَكَاثَبَ الْعَقِيدِ .. وَزِينَةَ رَأْسِ السَّنَةِ ..

أَذْكُرْنِي إِذَا نَسِيتَنِي شُهُودُ الْعِيَالِ

وَمَضْبُطَةُ الْبِرْمَالِ

وَقَائِمَةُ التَّهْمِ الْمُعْلَنَةِ

وَالْوَدَاعُ !

« نحن فداؤك »

وتسقط حنجره مُخَرَّسَة

معها يسقط اسمك — يا مصر — في الأرض
لا يَنْقُصُ سوى الجسد المتهشم والصرخات
على الساحية الدامسة !

دقت الساعة الخامسة

... ..

دقت الخامسة

... ..

دقت الخامسة

... ..

وتفرق ماؤك — يانهر — حين بلغت المنصب !

... ..

المنازل أضرحه ، والزنازن

أضرحه ، والذي أضرحه

فارفعوا الأسلحة !

ارفعوا

الأسلحة

سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس
(بكائيات)

(الاصحاح الأول)

عائدون ، وأصغر إخوتهم ذو العيون الحزينة
يتقلب في الحب ،

أجمل إخوتهم .. لا يعود !

وعجوز هي القديس (يشتعل الرأس شيبا)

تشم الفميص . فتبيض أعينها بالبكاء ،

ولا تخلع الثوب حتى يحى لها نبأ عن فتاها البعيد

أرض كنعان — إن لم تكن أنت فيها — مراعى من الشوك

يؤريها الله من شاء من أمم ،

فالذى يحرس الأرض ليس الصياف

إن الذى يحرس الأرض رب الجنود

آه من فى غيد سوف يرفع هامته

غير من طأطأوا حين أزر الرصاص ؟

ومن سوف يخطب — في ساحة الشهداء —
 سوى الجبناء ؟
 ومن سوف يغوى الأرمال إلا الذي
 سيؤول اليه إيج المدينة ؟ !

(الاصحاح الثاني)

أرشق في الحائط حد المطواه
 والموت يهبط من الصحف الملفاة
 انجراً في المرأة
 بصفنى وجهى المتخفى تحت فتاع النفط
 « من يمرر أن يضع الجرم الأول في عنق النفط ؟ »

(الاصحاح الثالث)

منظر جانبي لفيروز
 (وهى تطل على البحر من شرفة الفجر)
 لبنان فوق الخريطة :
 منظر جانبي لفيروز ،
 والبندقية تدخل كل بيوت (الجنوب)

مطر النار بهطل ، بثقب قلباً .. فقلباً
 وبترك فوق الخريطة ثقباً .. فثقباً
 وفيروز في أغنيات الرعاذ البسيطة
 نستعيد المراثي لمن سقطوا في الحروب
 نستعيد الجنوب !

(الاصحاح الرابع)

البسة حلم
 والشمس هي الدبنار الزائف
 في طبق اليوم
 (من مسح عني غزقي في هذا اليوم الصائف)
 والظل الخائف
 يتندد من غنى ؟
 يفصل بين الأرضي .. ويثني !
 وقضاء لك كبحرف مات بأرض الخوف
 (حاء .. باء)
 (حاء .. راء .. باء .. هاء)
 الحرف : السيف
 مازلت أروء بلاد اللون الداكن

ابحث عنه بين الاحياء الموق والموق الاحياء
حتى نرثد النبض إلى القلب الساكن
لكن .. !!

(الاصحاح الخامس)

منظر جانبي لعمان عام البكاء
والحوادث مرشوشة ببقايا دم لعنه الكلاب
ونهود الصبايا مصاييح مضطهدة فوق أعمدة الكهرباء
منظر جانبي لعمان ؟
والحرس الملكي يفتش ثوب الخليفة
وهو يسير إلى « إلباء »
ولعب البيوت وراء الدخان
ونغب عيون الضحايا وراء النجوم الصغيرة
في العلم الأجنبي ،
وبعلو وراء نوافذ « بسمان » عزف البيان

(الاصحاح السادس)

إشترى في المساء

قهوة ، وشطيرة
واشترى سمعين . وعذارة ، وذخيرة
وزجاجة ماء

... ..

عندما أطلق النار كانت يد القدس فوق الزناد
(ويد الله تخلع عن جسد القدس ثوب الحداد)
لبس من أجل أن يتفجر نطق الجزيرة
ليس من أجل أن يتفاوض من يتفاوض
من حول مائدة مستديرة
ليس من أجل أن يأكل السادة الكمطاء .

(الاصحاح السابع)

ليغفر الرصاص من ذنبك ما تأخر
ليغفر الرصاص .. ياكينسجر

والفطارات نرحل ، والراحلون
نصلون .. ولا تصلون !

(الاصحاح الثاني)

سنترال :

أعطي للفنانيات

(اللواتي يتنن إلى جانب الآلة الباردة

مناديات الحبال)

رفعى — رفم المبيت — حتى أجيء إلى العرس

ذى الليلة الواحدة !

أعطي للرجال ..

عندما يلثمون حبيباتهم فى الصباح ،

ويرغلون إلى جنبات القتال !

(الاصحاح الثالث)

الشهور زهور على حافة القلب نمر

وتحرفها الشمس ذات العيون الشنائية المطفأة

زهرة فى إناء

نوهج فى أول الحب بينى وبينك

(الاصحاح الأول)

الفطارات نرحل فوق قضيبين : ما كان — مامبكون !

والسماء رماذ ، به صنع الموت فهوثة ،

ثم ذراه كى تنشق الكائنات

فبنسل بين الشرايين والأخدة .

كل شىء — خلال الزجاج — يقر :

رذاذ الغبار على بفعة الضوء ،

أغنية الريح ،

قطرة النهر ،

سرب العصافير والأعمدة .

كل شىء يقر ،

قلا الماء تمسكه البذ ،

والخلم لا ينبقى على شرفات العيون .

... ..

تصبح طفلاً .. وأرجوحة .. وامرأة .

زهرة في الرداء .

تَنْفُخُ أَوْرَاقُهَا فِي حَبَاءِ

عندما تَنْقَاصُ فِي المُنْتَبِهَةِ المَادَّةِ .

زهرة من غناء

تَوَرَّدُ فَوْقَ كَمَنْجَانِ صَوْنِكِ

حين تفاجئك القبلَةُ الدافئة

زهرة من بكاء

تَجْمُدُ فَوْقَ شَجِيرَةِ عَيْنَيْكَ فِي لَحْظَاتِ الشَّجَارِ الصَّغِيرَةِ ،

أَشْوَاكُهَا : الحزن والكبرياء .

....

زهرة فوق فبر صغير

تحنى ؛ وأنا أنحاشي التطلع نحوك ..

في لحظات الوداع الأخير

تَعْرَى ؛ وتلغف بالدمع في كل ليل إذا الصمتُ جاء

لم يَعدْ غَيْرُهَا من زهور المساء

هذه الزهرة — اللؤلؤة !

(الاصحاح الرابع)

تحبل الفتيات

في زيارات أعمامهن إلى العائلة

ثم يجهنهن الزحام على سُلَّم « الحافلة »

ونرام الضجيج !

...

نذهب السيدات

لِيَعَالِجْنَ أَسْنَانَهُنَّ فَبُؤْمِنُ بالوحدة الشاملة !

ويُجِدْنَ الهوى بلسان « الخليج » ؟

...

يا أبانا الذي صار في الصبديات والغلب العازلة

تَجْتَا من يد « القابلة »

تَجْتَا . حين تَقْضَم — في جَنَّةِ البُوسِ — نَفَاحَةَ العَرَبَاتِ

وثياب الخروج !!

(الاصحاح الخامس)

نصرخين .. ونخرفين صفوف الجنود

تعانق في اللحظات الأخيرة ،

في الدرجات الأخيرة .. من سلم المصلاة .

أغمس وجهك !

(هل أنت طفلتي المستحيلة أم أمي الأرملة ؟)

أغمس وجهك !

(لم ألك أعمى ..

ولكنهم أرفقوا مقلتي وبدى بملف اعتراف

لتنظرة السلطان ..

فتعرف أنني راجعته كلمة .. كلمة ..

ثم وقته يدي ..

— ربما درس هذا الحق في جملة تنهى إلى الموت ! —

لكنهم وعدوا أن يعيدوا إلى يدي وعيني بعد

انتهاء المحاكمة العادلة !)

زمن الموت لا ينهي يا ابنتي التاكلة

وأنا لسك أول من نبأ الناس عن زمن الزلزلة

وأنا لسك أول من قال في السوق :

إن الحمامة — في الغش — تحضن الغيلة !

فيلبني ؛ لأنقل سرى إلى شفيلد ،

لأنقل سوتى الوحيد

للك ، للسنبلة

للزهور التي تتبرعم في السنة المغيلة

فيلبني .. ولا ندمي !

سحب الدمع نخجيني عن عيونك ..

في هذه اللحظة المشقة

كثرت بيننا السئر الفاصلة

لا تضفي إليها ستاراً جديداً !

(الاصحاح السادس)

كان يجلس في هذه الزاوية .

كان يكتب ، والمرأة العاربة

تجول بين الموائد ؛ تعرض فنتتها باليمن .

عندما سأله عن الحرب ، قال لها ..

لا نحاف على الثروة الغالبة

فغدو الوطن

مثلنا يفتتن

مثلنا .. بعشق السلع الأجنبية ،

يكره لحم الخنازير ،
يدفع للبندقية .. والغابة .
.. فيكتب !

... ..

كان يجلس في هذه الزاوية .
عندما مرّت المرأة العاربة

ودعاها ؛ فقالت له إنها لن تُعيل النعود
فهي منذ الصباح تُفتش مستشفيات الجنود
عن أخيها المأصر في الضفة الثانية
(عادت الأرض .. لكنه لا يعود !)

وحكّت كيف تحصل العباء طيلة غريته القاسية
وحكّت كيف تلبس — حين يجيء — ملابسها الضافية
وأرثته له صورة بين أطفاله .. ذات عبد
.. وبكت !!

(الاصحاح السابع)

أشعر الآن أتي وحيداً ،
وأن المدينة في الليل ..

(أشباحها وبناتها الشاعفة)
سفن غارقة

نهبتها قراصنة الموت ثم رمّتها إلى القاع منذ سنين .
أسند الرأس رثائها فوق حافنها ،
وزجاجة خمر محطمة تحت أقدامه
ويقاي وستم تخين .

ونشبت بحارة الأمس فيها بأعمدة الصمب في الأروقة
ينسلل من بين أسماهم سمك الذكريات الحزين .
وتناجر صامتة ..
وطحالب نابنة ..

وسلال من القطط النافذة .
لبس ما ينض الآن بالروح في ذلك العالم المسكين
غير ما ينشر الموج من علم .. كان في هبة الريح
والآن بفرك كفيه في هذه الرقعة الضيقة
سيظل على الساريات الكسيرة يخلق ..
حتى بلوب .. روبدا .. روبدا ..

وبصدا فيه الحنين
دون أن يلمس الريح ثانية ، أو يرى الأرض ،
أو ينتهد .. من شمها المحرفة !

(الاصحاح الثامن)

آه .. سيدتى المسبلة

آه .. سيدة الصمت واللغات الودود

لم يكن داخل الشقة المغفلة

غير فظ وحيد .

حين عادت من السوق تحمل سلتها المثقلة

عرفت أن ساعى البريد

مر ..

(فى فتحة الباب كان الخطاب

طربحاً ..

ككباب الشهيد !)

قفز القط فى الولولة

قفزت من شبايك جيرانها الأسئلة

... ..

آه .. سيدة الصمت والكلمات الشرود

آه .. أينها الأرملة !

(الاصحاح التاسع)

دائماً .. حين أمسى ؛ أرى السترة المرموزة

بين الزحام .

وأرى شعرك المنهدل فوق الكنف .

وأرى وجهك المنبدل .. فوق مرايا الخواشب ،

فى الصور الجانبية ،

فى نظرات البتات الوحيدات ،

فى لمعان حدود المحبين عند حلول الظلام .

دائماً أنحسُّ ملمس كفك فى كل كف .

المفاهى التى وهبتنا الشراب ،

الزوايا التى لا يرانا بها الناس ،

تلك اللبالي التى كان شعرك يبتل فيها ..

فتخبئين بصدرى من المطر العصى

الهدايا التى تشاجر من أجلها ،

حلقات الدخان التى تتجمّع فى لحظات الخصاص

دائماً أنت فى المنتصف !

أنت بينى وبين كثنائى ..

وبينى وبين فراشى ..

وبينى وبين هدونى ..

وبينى وبين الكلام .

ذكرى لثلك سجنى ، وصوتك يجلدى
ودمى قطرة — بين عينيك — لبست نجف !
غاصبى السلام !
امنحنى السلام !

(الاصحاح العاشر)

الشوارع فى آخر الليل .. آه
أراملى منشحات يُنهَين فى عبات الفيور — البيوت .
قطرة .. قطرة ، تساقط أدْمُهُنْ مصابيح ذابلة
تشبث فى وجع الليل ثم .. غموت !
... ..
الشوارع فى آخر الليل .. آه
خيوط من العنكبوت .
والمصابيح — تلك الفراشات — عالقة فى مغالها
تتلوى .. فتعصرها ، ثم تتحل شيئا . فشيئا
فتمتص من دمها قطرة .. قطرة ؛
فالمصابيح قوت !

... ..
الشوارع فى آخر الليل .. آه

أفاج تمام على راحة القمر الأبدى الصموت .
لُعْغانُ الجلود المفضضة المستطيلة بقدر مصابيح
مسمومة الضوء ، يغفر بداخلها الموت ،
حتى إذا غرب القمر : انطفأت
وغلى فى شرايينها السم
نرفه قطرة .. قطرة ؛ فى السكون المميت !

... ..
... ..
وأنا كنتُ بين الشوارع وحدى !
وبين المصابيح وحدى !
أنصب بالحزن بين فمبى وجلدى
قطرة .. قطرة ؛ كان حى بموت
وأنا خارج من فراديسه ..
دون وزفة نوث !!

ممدودة — كالنداء
ومستدودة — كالنور
... ..
ونظّل .. وحيدة !!

المزموه الأول

أعشق أسكندرية ،
واسكندرية نعشق رائحة البحر ،
والبحر يعشق فانية في الضباب البعيدة !

* * *

كل أمسية ؛ نسلل من جانبي

نجرّد من كلّ أثوابها

ونحلّ غداثها

ثم نخرج عارية في السوارع نحت المطر !

فاذا افتربت من سرير التهدؤ والزرقاء

انطرحت في ملأه الرغوية !

وانفحن .. ننظر !

المزموه الثاني

فلت لها في الليلة الماطرة :

البحر عنكبوت

وأنيب — في سراكه — فراشة تموت

وانففضت كالغفلة النافرة

وانتصبت في خفكان الربيع والأمواج

(ثديان من زجاج)

وجسد من عاج)

وانفلنت مبحرة في رحلة المجهول ، فوق الرّبد المهنأج

ناديت .. ما ردّت !

صرخت .. ما اردت !

وظلّ صوني بنلاشي .. في نلاشيها ..

وراء الموجة الكاسرة)

...
خاسرة ، خاسرة

إن ننظري في غتني الغرمة الساحرة
أو نرفعي عينيك نحو الماسة التي تزين الناج !

المزمور الثالث

لغظ البحر أعضاءها في صباح اليم
فرأيت الكلوم
ورأيت أظافرها الدموية
نظوى على خصله « ذهبية »
فخشوت جراحاتها بالرمال ،
وأدقائها بنبذ الكروم ..

... ..

ونعيش معي الآن !
ما بيننا حائط من وجوم
بيننا نسمات « الغريم »
كل أمسية ..

تسلل في ساعة المد ، في الساعة القمرية
نستريح على صخرة الأبدية .

تسمع سخرية الموج من تحت أقدامها
وصفير البواخر .. راحلة في السواد الحميم
تصاعد من شفتها المملحتين رياح السموم
تساقط أدمعها في سهوم
والنجوم

(الغريرة في الفاع)

نصعد .. واحدة .. بعد أخرى ..

فتلفظها

وتعدّ النجوم

في انتظار الحبيب القديم !

المزمور الرابع

(نربة لشهر باير)

فجأة .. نجفل خطو القلب ،
بهتت الكريات الرصاصية في سلة

(هل أصبح الوحيدة أم اصبعك المصروع بالختاء ؟)
 في الخارج أسوار وأمطار ،
 غلاف الليل ينشق عن الرعد
 غلاف الغلب ينشق عن الوجد
 مساحات من الضوء الرمادي
 أنا النافذة المغلقة السوداء
 والتفاحة الحمراء
 والأسماء

(اسمي كان مكتوباً على طرف فمصي
 قبل أن يعلّق في سلك الخلود الشائك !)
 النهر ضميري (ولعيني أنساب النهر)
 ما أفسى انتظاري ! ..
 وفؤادي ساعة رملية صفراء
 تهوى الرمل في أعماقها شيئاً فشيئاً
 ربما للرمل طعام الملح أحياناً .. وطعم الانتظار !!

(المزمور الخامس)

كان فسائك في الصيف من الكتان ،

وانزهره في صدرك ببضاء ،

ولكن الشنّاء الآن يكسوك بلون السل والرجس
 (حتى ورقة الثوب على قمخذك .. صفراء !)
 هل الماء يفيض الآن في البئر ؟
 هل الماء يفيض الآن في البئر ؟
 أماء ؟ أم ذم ؟

(هذا النسي القابل ذو الوجهين)

كان الناي يمتد من الضفة للضفة

من صدرك إلى صدرك

كان الناي يمتد

ولون الليل بين البرقالي — الرمادي — السماوي

وفي شعرك غابات من الوحشة والصمت ؟

هوى نيم ؛ وفي الثانية التالية اصطكت يدي

في الشج العابر

(هل كانت يدي في يدك اليسرى ؟)

وفي الثانية الثانية اصطكت يدي في كلمة السجن

على وجه الجدار !!

المزمور السادس

نَحْنُ صَوْنَانِ ..

(إِذْنُ فَالصَوْتُ قَدْ أَصْبَحَ صَوْنِي !)

نَزَّهْنَا عَلَى خَطِّ اسْتَوَاءِ الْمَوْتِ ،

لَعَلَّنَا الْبَيْفَسُجْ

وَنَسَقْنَا شِعَاعَ الزَّهْوِ ، حُدُّلْنَا مَزَالِيجَ الْبَيُوثِ

وَفَدَحْنَا خَجَرَ الْحُبِّ ؛ جَلَسْنَا نَتَوَهَّجُ

فَاحْلَقِي بِاسْمِي ، وَبِاسْمِ الْعَنْكَبُوثِ

بِاسْمِ نَفْسِ الذِّكْرِيَّاتِ الْمُنْعَرَّجِ

وَرَكَايَ الذِّكْرِيَّاتِ السَّرْجِ

.. إِنِّهَا وَرَفَةُ نَوْتُ

سَقَطَتْ عَنْ عَوْرَةِ الصَّبَفِ ،

وِظَلَّتْ تَنْدَحْرَجُ

فَوْقَهَا تَنْفَرِّجُ

(دُونَ أَنْ تُظَرَّفَ) حَتَّى سَقَطَتْ فِي النَّهْرِ ..

وَارْتَدَّتْ السَّكُوتُ !

المزمور السابع

جاء الاناسُ الميئونَ ، يحملون

كفانهم ؛ أطيارهم لبست إلى أعضائهم ؛

يستفسرون :

« ماذا أتى بنا هنا !؟ »

أنت بكم امرأة خاطئة

نهوذا دافئة

ولحمها مِعْطَرُ التَّكْهَةِ

قد اسندارت في فراشها برهة

عانفت الحدارَ ، قُبِلَتْ وَجْهَهُ

« يا أيُّها الجدارُ .. لا تُبَيِّحْ بِنَا نَرَى

ولا نُقْلَ عَنِ الَّذِينَ يُولَدُونَ

وعمغم الجدارُ : »

يا صديقتي الطفلة

ماكَ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ !

... ..

ومرَّت اللَّيْلَةُ

فربما كان أباكم الجدارُ ،

ربما يكون !

المزمور الثامن

(شجوية)

لماذا يتابعني أبنا سرُّ صوت الكمان ؟

أسافر في الفطرات العنيفة ،

(كى أنحدت للغرباء المسنين)

أرفع صوني ليطغى على صجّة العجالات

وأغفو على نضابت الفطار الحديدية الغلب

(نهدر مثل الطواحين)

لكها بغنة .. نبتعد شيئاً فشيئاً

وبصحو نداء الكمان !

.. .

أسير مع الناس ، في المهرجانات :

أصيح لوفى الجنود الحاسق

بجلاً خلقي غبار التشيد الحماسي

لكننى فحاة .. لا أرى !

تتلاشى الصفوف أمامي

وينسرب الصوت مبتعداً

ورويداً .. رويداً يعود إلى القلب صوت الكمان

لماذا إذا ما نبتأت للنوم يأنى الكمان ..

فأصغى له آناً من مكان بعيد

فصمت مهمة الريح خلف الشبابيك ،

نبض الوسادة في أذني

تراجع دفأت قلبي ،

وأرحل في مدن لم أرّها

شوارعها فضة .

وبناياتها من يحويط الأشعة .

ألفي التي واعذتني على ضفة النهر واقفة !

وعلى كتفها يحطّ الجأء الغريب

ومن راحنها يغط الحنان !

أحبك ، صار الكمان كموب بنادق

وصار جأء الحداثي .

فأبلى نسفت في كل آن

... ..

وغاب الكمان !

(الورقة الأولى)

« ملك أم كتابة ؟ »

صاح لي صاحبي ؛ وهو يُلقي بدرهمي في الهواء
ثم يلقفه ..

(تخرجين من الدرس كذا .. وحبُّ الطفولة فوق الرداء
والعصافير تمرُّ عبر البوب ،
ونبط فوق النخيل البعيد !)

... ..

« ملك أم كتابة ؟ »

صاح لي .. فأنهيت ، وزفت ذبابه
حول عينيْن لامعتين ..

فقلت : « الكتابة ! »

... فتجَّ الهدء مبسما ؛ كان وجه الملبك السعيد
باسماً في مهابة !

« ملك أم كتابة ؟ »

صحت فيه بدوري ..

فرفر في مقلبه الصبا والنجاة

وأجاب : « الملك »

دون أن ينلعم .. أو يرنك

وفنحت يدي ..

كان نقش الكتابة

بارزاً في صلابه !

دارت الأرض دورتها ..

حملتنا الشواذيف من هدأة النهر

ألفت بنا في جداول أرض السراية

نتفرق بين حقول الأمي .. وحقول الصباية .

فطرنين ؛ التقينا على سلم الفصر ..

ذات مساءً وحباً

كنت فيه : نديم الرشيد

بيننا صاحبي .. بتولى الحجابة !!

(الورقة الثانية)

من بملك العملة يُمسك بالوجهين
والفراء بين بين !

(الورقة الثالثة)

نائماً كنتُ جانبَه ، وسمعتُ الحرس
يوظفون أُنَى !

— خارجيُّ

— أنا .. !

— مارق

— من ؟ أنا !

صرخَ الطفلُ في صدر أُمِّي

(وأُمِّي محلولة الشعر واقفة في ملابسها المنزلية)

— إخرسوا

واختبأنا وراء الجدارِ

— إخرسوا

ونسَلُ في الحلقِ خبطَ من الدم

كان أُنَى بمسكُ الجرحِ ،

بمسكُ قامته .. ومَهَابَتِهِ العائِلَةِ !

— يا أُنَى

— إخرسوا

ونواربت في ثوب أُمِّي ، والطفلُ في صدرها مائِسُ
ومضوا بأُنَى ناركِبَ لنا اليم منشحاً بالحرس

(الورقة الرابعة)

أَيُّهَا الشَعْرُ .. يا أَيُّهَا الفَرَحُ الْمُخْتَلِسُ

... ..

كل ما كنتُ أَكْتُبُ في هذه الصفحةِ الْوَرَقِيَّةِ

صَادَرَنِي الْعِيسُ

... ..

(الورقة الخامسة)

... وأُمِّي حَادِمَةٌ عَارِسِيهِ

يَتَنَاقَلُ سَادَتُهَا قَهْوَةَ الْجَنَسِي وَهِيَ تَدِيرُ الْحَطَبُ
يَتَبَادَلُ سَادَتُهَا النُّظَرَاتِ لَارِدَافَهَا ..

عِنْدَمَا تَتَحَنَّى لِنُضْيَاءِ اللَّهَبِ
يَتَدَّرُ سَادَتُهَا الطُّيُونُ بِلَهَجِهَا الْأَعْجَمِيَّةِ !

* * *

نَائِمًا كُنْتُ جَانِبَهَا ، وَرَأَيْتُ مَلَكَ الْقُدُسِ
يُنَحِّنِي ، وَيُرِيئُ وَجْهَهَا

وَتَرَاحَتِي الذَّرَاعَانِ عَنِّي فِلِيلًا
وَسَارَتْ بِقَلْبِي فَتُخْرِيرَةُ الصَّصِ

— أُمِّي ؛ وَعَادَ لِي الصَّوْتُ

— أُمِّي ؛ وَجَاوَزَنِي الْمَوْتُ

— أُمِّي ؛ وَعَانَقَهَا .. وَبَكَتْ

وَعَامَ لِي الدَّمْعُ حَتَّى احْتَبَسَ !

* * *

(الورقة السادسة)

لَا نَسْأَلُنِي إِنْ كَانَ الْفُرَّانُ
مُخْلُوفًا أَوْ أَزْلَى
بَلْ سَأَلَنِي إِنْ كَانَ السُّلْطَانُ
لِصًّا .. أَوْ نَصَفَ نَبِيَّ

(الورقة السابعة)

كُنْتُ فِي كَرْبَلَاءَ
فَالَ لِي الشَّيْخُ أَنَّ الْحُسَيْنَ
مَاتَ مِنْ أَجْلِ جِرْعَةِ مَاءٍ
... ..

وَنِسَاءُ لَتْ كَبَفَ السُّيُوفُ اسْتَبَاحَتْ بَنَى الْأَكْرَمِينَ
فَأُجَابَتْ الَّذِي بَصُرَتْهُ السَّمَاءُ
إِنَّهُ الذَّهَبُ الْمُنَلَّأَى فِي كُلِّ عَيْنٍ
... ..

إِنْ تَكُنْ كَلِمَاتُ الْحُسَيْنِ
وَسُيُوفُ الْحُسَيْنِ

وجلالُ الحسين
سَقَطَتْ دُونَ أَنْ تُنْقَذَ الْحَقُّ مِنْ ذَهَبِ الْأُمَرَاءِ
أَفْتَقَدِرُ أَنْ تُنْقَذَ الْحَقُّ ثُرُورَةُ الشُّعْرَاءِ
وَالْفَرَاتُ لِسَانُ مَنْ الدَّمُ لَا يَجِدُ الشُّفْعَيْنِ ١٩

• • •

مَاتَ مِنْ أَجْلِ جُرْعَةِ مَاءٍ •
فَامْتَنَى بِأَغْلَامِ صَبَاحِ مَسَاءِ
اسْقِنِي بِأَغْلَامِ ..
عَلَنِي بِالْمُدَامِ ..
أَتَنَاسَى الدَّمَاءِ !

(١)

اللَّوْحَةُ الْأُولَى عَلَى الْجِدَارِ :
لَيْلِي « الدَّمْشَقِيَّةُ »
مِنْ شَرْفَةِ « الْحَمْرَاءِ » تَرْنُو لِمَغِيبِ الشَّمْسِ ،
تَرْنُو لِلخِيوطِ الْبُرْنَقَالِيَّةِ
وَكِرْمَةٍ أُنْدَلَسِيَّةٍ ، وَفَسْفِيَّةٍ

... ..
وَطَبَقَاتُ الصَّمِيتِ وَالْفُبَارِ !

لَقَشْ

(مَوْلَايَ ، لَا غَالِبَ إِلَّا اللَّهُ !)

اللوحة الأخرى .. بلا إطار :
 للمسجد الأقصى .. (وكان قبل أن يحترق الرواق)
 وقية الصخرة ، والبراق
 وآية تأكلت حروفها الصغار !
 نقش

(مولاي ، لا غالب إلا .. القار)

اللوحة الدائمة الخطوط ، والواهبه الخيوط :
 لعاشق محرق الأجناف
 كان اسمه « سرحان »
 بمسك بندفة .. على شفا السقوط
 نقش

(بيني وبين الناس نلك « الشعرة »
 لكن من بقبض فوق الثورة
 يقبض فوق الجمرة)

اللوحة الأخيرة :
 خريطة مبنورة الأجزاء
 كان اسمها « سناء »
 ولطخة سوداء
 تملا كل الصورة

نقش
 (الناس سواسية — في الدل — كأستان المشط
 ينكسرون — كأستان المشط
 في لحية شبح النفط)

• • •

كتابة في دفتر الاسفيل :
 لا نسأل النبل أن يعطى وأن يلدنا
 لا نسأل .. أبدا
 إني لأفتح عيني (حين أفتحها !)
 على كثير .. ولكن لأرى أحدا !

يبعون لسباراب أصحاب الملايين .. الرياحين
 وفي « المنرو » يبعون الدبابيس و« يس »
 وينسلون في الليل يبعون « الجنغارين »
 لأفواج الغزاة السالحين !

« خاتمة »

... ..
 هذه الأرضُ التي ما وَعَدَ اللهُ بها ..
 مَنْ خَرَجُوا مِنْ صُلْبِهَا ..
 وانغمسوا في نَرَبِهَا ..
 وانطرحوا في حُبِّهَا ..
 مُسْتَشْهِدِينَ !

... ..
 فادخلوها « بسلام » آمين !!

آه .. من يُوقِفُ في رأسِ الطواحين ؟
 ومن يَنْزِعُ من قُلُوبِ السكاكين ؟
 ومن يَفْتُلُ أطفالَ المساكين ..
 لئلاَّ يَكْبُرُوا في الشَّقَقِ المفروشةِ الحمراء
 حَتَامِينَ ..
 مَأْيُونِينَ ..
 قَوْلَادِينَ ..

من يَفْتُلُ أطفالَ المساكين ؟
 لكيلا يَصْبَحُوا — في القَدِّ — شَحَازِينَ ..
 يستجدون أصحابَ الدكاكين
 وأبوابَ المرايين

أَقْتَوَالُ جَدِيدَةٍ
عَنْ
حَرْبِ الْبَسْوَئِ

مقتل كليب « الوصايا العشر »

.. فطر « كليب » حواله ونعسر ، وذرف دمعاً ونمير ، ورأى
عيداً واقفاً فقال له : أريد منك باعدي الخير ، قبل أن نسلبني ، أن
نسحبني إلى هذه البلاطة القريبة من هذا القدير ، لأكتب وصيتي
للى أخى الأمير سالم الزير ، فأوصيه بأولادى وقلدة كبدى ..

فسمحه العبد إلى قرب البلاطة ، والريح غارس في ظهره ، والدم
يفطر من جنبه .. فغمس « كليب » إصبعه في الدم ، وخط على
البلاطة وأتسأ بفول ..

فصية الأمير سالم الزير

لاتصالح

..

(١)

لاتصالح !

.. ولو منحوك الذهبُ

أُتري حين ألقا عنيك ،

ثم أنبتُ جوهريْن مكانهما ..

هل تُرى .. ؟

هي أشياء لأشغرنى .. :

ذكريات الطفولة بين أحبك وبينك ،

حسكنا - فجأة - بالرجولة ،

هذا الحياء الذى يكيث الشوق .. حين تمانقهُ ،

الصمت - مبتسمين - لنأنيب أُمكما ..

وكانكما

ما نزالان طفلين !

تلك الطمانينة الأبدية بينكما :

أَنْ سيفان سيفك ..

صوتان صوتك

أنك إن مت :

للبيت ربُّ

وللطفل أب .

هل يصيرُ دمي - بين عينيك - ماء ؟

أنتسى ردائي الملطَّخ ..

تلبسُ - فوق دماي - ثياباً مطرزةً بالفصْب ؟

إنها الحرب !

قد ثقُل القلب ..

لكن خلفك عازِ العرب .

لا تصالح ..

ولا تتوخَّ الهَرَب !

(٢)

لأنصالح على الدم .. حتى يدم !
لأنصالح ! ولو قيل رأس برأس ،
أكل الرؤوس سواء ؟ !
أقلب الغريب كقلب أخيك ؟ !
أعناه عينا أخيك ؟ !
وهل تساوى بد .. سيفها كان لك
بيد سيفها أنكلك ؟

سيقولون :

جفناك كى تحقن الدم ..
جفناك . كن — ياأمير — الحكم

سيقولون :

ها نحن أبناء عم .
قل لهم : إنهم لم يُراعوا العمومة فبمن هلك .
واغرس السيف في جبهة الصَّحراء ..
إلى أن يجيب القدم .
إننى كنت لك .
فارساً .

وأخاً .
وأباً .
ومليك !

(٣)

لأنصالح ..
ولو حرقمتك الرقاد
صريحك الندامة .
ونذكر ..

(إذا لأن فلبك للنسوة اللباسات السوداء ولأطفالهن الذين
تخاصمهم الابتسامة)
أن بنت أخيك « الهامة »
زهرة تسرهل — في سنوات الصبا —
بهاياب الحداد .

كنت ، إن عدت :

تمدو على درج القصر ،
تمسك ساقى عند نزولى ...
فأرفعها — وهى ضاحكة —
فوق ظهر الجواد .

ها هي الآن .. صامتة .

حرمها يدُ القدر : -

من كلمات أيها ،

أرنداء الشباب الجديدة ،

من أن يكون لها — ذات يرم — أخ ١

من أب يتبسم في عرسها ..

وتعود إليه إذا الزوج أغضبا ..

وإذا زارها .. يتسابق أحفاده نحو أحضانها ،

لينالوا الهدايا ..

ويهلوا بلحجه (وهو مستسلم)

ويشدوا العمامة .

لا تصالح ١

فما ذنبُ تلك الهامة

لنرى العشَّ محترفاً : . فجاءة ،

وهي تجلس فوق الرماذ ؟ ١

(٤)

لأنصالح

ولو توجوك بناج الإمارة .

كيف تحطو على جنب ابن أهلك .. ؟

وكيف نصير الملبك ..

على أوجوه البهجة المستعارة ؟

كيف تنظر في يد من صافحوك ..

فلا تبصر الدم ..

في كل كف ؟

ان سهماً أناني من الخلف ..

سوف يجهك من ألف تخلف .

فألدم — الآن — صار وساماً وشارة .

لأنصالح ،

ولو توجوك بناج الإمارة

إن عرشك : سيف

وسيفك : زيف

إذا لم ترن — بدؤابته — لحظات الشرف

وامتطيت — النزف

وَأَرِ قَلْبَكَ بِالْذَّمِّ ..
وَارِو التَّرَابَ الْمُقَدَّسَ ..
وَارِو أَسْلَافَكَ الرَّاقِدِينَ ..
إِلَى أَنْ تَرُدَّ حَلِيكَ الْعِظَامَ !

(٦)

لَا نَصَالِحَ ،
وَلَوْ نَاشَدْتُكَ الْفِيلَةَ
بِأَحْسَنِ حَزَنِ الْجَلِيلَةِ
أَنْ تَسْوَى الدَّهَاءَ ،
وَتُبْدَى — لِمَنْ فَصَلْتُكَ — الْقَبُولَ .
سَيُفْلَوْنَ :

هَذَا أَنْتَ تَطْلُبُ ثَارًا يَطْوُلُ .
فَتُحْدِ — الْآنَ — مَا تَسْتَطِيعُ :
فَلْيَبْلَأْ مِنَ الْحَقِّ ..
فِي هَذِهِ السَّنَوَاتِ الْفَلْبِلَةِ .
إِنَّهُ لَيْسَ ثَارُكَ وَحْدَكَ ،
لَكِنَّهُ ثَارُ جَبَلٍ فَجِيلٍ .

لَا نَصَالِحَ
وَلَوْ قَالَ مَنْ مَالٍ عِنْدَ الصَّدَامِ
« .. مَا بِنَا طَافَةٌ لِمُتَشَابِهِ الْحَسَامِ .. »
عِنْدَمَا يَبْلَأُ الْحَقُّ قَلْبَكَ :

نَنْدُلِعُ النَّارُ إِنْ تَنْتَفَسَّسَ
وَلِسَانُ الْخِيَانَةِ بِخَرْمٍ

لَا نَصَالِحَ ،
وَلَوْ قَبِلَ مَا قَبِلَ مِنْ كَلِمَاتِ السَّلَامِ .
كَيْفَ نَسْتَشِىءُ الرُّثَائِيَّ النَّسِيمَ الْمُدْتَسِّ ؟
كَيْفَ نَنْظُرُ فِي عَيْنِي امْرَأَةً ..
أَنْتِ نَعْرِفُ أَنَّكَ لَا نَسْتَطِيعُ حَمَانِيهَا ؟
كَيْفَ نُصْبِغُ فَارِسِيهَا فِي الْغُرَامِ ؟
كَيْفَ نَرْجُو غَدًا .. لَوْلِيَدٍ يَنَامُ
— كَيْفَ نَحْلُمُ أَوْ تَتَغَيَّرُ بِمُسْتَقْبَلِ لُغْلَامٍ
وَهُوَ بِكَبِيرٍ — بَيْنَ بَدْبِكَ — بِفَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ ؟
لَا نَصَالِحَ
وَلَا نَقْتَسِمُ مَعَ مَنْ فَنَلَوْكَ الطَّعَامَ .

وعسدا ..

سوف يولد من يلبس الدرغ كاملة ،
يوجد النار شاملة ،
يطلب النار ،
يستولد الحق ،
من أضلح المستحيل .

لم أكن غازياً ،
لم أكن أنسلل فرب مضاربهم
أو أحوم وراء النجوم
لم أمدّ بدأ لئام الكروم
أرض يستأبهم لم أطأ
لم نصبح فاني لي : التبة !
كان بمضى معنى ..

ثم صافحني ..
ثم سار قليلاً
ولكنه في العصور أحنياً !
فجأة :
تفتشني فتفتروني بين ضلعين ..

واحتز فلي - كففاعي - وانفذ .

وشاملت ، حتى احتلمت على ساعدتي
فأريت : ابن عمي الزنيم
واقفاً يتشقى بوجه لقيم

(٧)

لا نصالح ، ولو حلتك النجوم
ورمي لك كنهاتها بالنبأ ..
كنت أغفر لو أنني ميت ..

ليفلتني بمشيتيه

ليس أهبل متى .. ليفلتني بسكينيه ،
ليس أمهر متى .. ليفلتني باستدارته الماكرة

لا نصالح ،

فما الصلح إلا معاهدة بين نذنين ..

(في شرف القلب)

لا تَنْفَصِرْ

والذي اغتالني فحُضْ لص

سَرَقَ الأرض من بين عيئي

والصمت يُطلق ضحكته الساخرة !

(٩)

لا نصالح ،

ولو وَقَفْتُ ضدَّ سَيْفِكَ كُلَّ الشُّبُوحِ ،

والرجالُ التي ملأها الشُّرُوحُ ،

هؤلاء الذين يُحِبُّونَ طَعْمَ التَّيْدِ ،

وامتناء العبيد ،

لم يكن في يدي حربة ،

أو سلاح فديسم ،

لم يكن غيرُ غبظي الذي يَتَشَكَّى الظُّمَأُ .

(٨)

لا نصالح ،

إلى أن يعودَ الوجودُ لدورته الدائرة :

النجوم .. لمقاتبتها

والطيور .. لأصواتها

والرمال .. لذراتها

والغنيْلُ لطفله الناظرة .

كُلُّ شيءٍ تحطَّمُ في لحظةٍ عابرة :

النصبا - بهجة الأهلِ صَوْتُ الحصان - التعرفُ بالضرب - مهملة

القلب حين يرى برعماً في الحديقة يندى - الصلاة لكي ينزل السطر

الموسمى - مروعة القلب حين يرى طائر الموت

وهو يرفرف فوق المبارزة الكاسرة .

كُلُّ شيءٍ تحطَّمُ في نزوةٍ فاجرة .

والذي اغتالني : ليس رثاً ..

هؤلاء الذين ندلت عمائمهم فوق أعينهم ،
وسوفهم العريئة قد تبيث سنوات الشموخ
لا نصالح ،

فلبس سوى أن نريند .

أنت فارس هذا الزمان الوحيد

وسواك .. المسوخ !

(١٠)

لاتصالح
لاتصالح !

« فلما جاءه الوفود ساعية الى الصلح ، قال لهم الأمير سالم
أصالح اذا صالحت الإمامة . تقصدت الى الإمامة أمها الجليلة ومن مع
من نساء سادات القبيلة ، فدخلن إليها ، وسلمن جميعاً عليها ، وقبل
الجليلة بنها وقالت : أما كفى ؟ فقد هلك رجالنا وساعت أحوالنا
وماتت فرساننا وأبطالنا . فأجابها الإمامة : أنا لا أصالح ، ولو لم يبق
أحد يقدر أن يكافح .. »

نوفمبر « تشرين الثاني » ١٩٧٦

هَيَّ الشَّمْسُ ، نَلَكُ الثِّي نَطْلُعُ الْآنَ ؟
 أَمْ أَنَهَا الْعَيْنُ - عَيْنُ الْفَنِيلِ - الَّتِي تَنَامُلُ شَاخِصَةً :
 ذَمُّهُ يَنْرَسِبُ شَيْئاً فَنَشِئاً ..
 وَيَحْضُرُ شَيْئاً فَنَشِئاً ..
 فَنَطْلُعُ مِنْ كُلِّ بَغْعَةٍ دَمٌ : فَمُ فَرَمَزَى ..

وَزَهْرُهُ شَرُّ ..

وَكَفَّانِ فَايَضْنَانِ عَلَى مَنْجِلٍ مِنْ حَدِيدٍ ؟
 هَيَّ الشَّمْسُ ؟ أَمْ أَنَهَا النَّاسُ ؟

هَذَا الْبَيْتُ يَنْتَقِلُ فَوْقَ الرُّؤُوسِ إِلَى أَنْ يَعُودَ
 إِلَى مَفْرِفِ الْفَارِسِ الْعَرَبِيِّ الشَّهِيدِ ؟

... ..

أَقُولُ لَكُمْ : أَيُّهَا النَّاسُ كُونُوا أَنَاساً !

هَيَّ النَّارُ ، وَهَيَّ اللِّسَانَ الَّذِي يَنْكَلِمُ بِالْحَقِّ !
 إِنْ الْجُرُوحُ يَطْفُرُهَا الْكُفَى ،
 وَالسِّيفُ يُصَفِّلُهُ الْكُفَرُ ،
 وَالْخَيْزُرُ يُنْضِجُهُ الْوَهْجُ ،

أَبَى .. لَا مَزِيدَ !
 أَرِيدُ أُنَى ، عِنْدَ بَوَابِ الْقَصْرِ ،

فَوْقَ حِصَانِ الْحَفِيفِ ،
 مَنصَباً .. مِنْ جَدِيدٍ

...

وَلَا أَطْلُبُ الْمَسْحُوبَ ، وَلَكِنَّهُ الْعَدْلُ :

هَلْ يَرِثُ الْأَرْضَ إِلَّا بَنُوهَا ؟

وَهَلْ تَتَنَاسَى الْبَسَاتِينُ مِنْ سَكَنُوهَا ؟

وَهَلْ تَتَنَكَّرُ أَغْصَانُهَا لِلْجُدُورِ ..

(لَأَنَّ الْجُلُودَ نَهَاجَرُ فِي الْأَنْجَاكِ الْمَعَاكِرِ ؟)

هَلْ تَتَرَّمُّ قِبَارُهُ الصَّمْبِ ..

إِلَّا إِذَا عَادَتْ الْفُؤُوسُ نَذْرُخُ أَوْنَارِهَا الْغَصْبِيَّةِ ؟

وَالصُّكْرُ ! حَتَّى مَتَى يَنْحَمِلُ أَنْ يَجْسِسَ الْقَلْبَ ..

فَلَبِى الَّذِي بِشَبِّهِ الطَّائِرِ الدَّمَوِيُّ الشَّرْبِذْ ؟

... ..

لا تدخلوا معمدانية الماء ...

بل معمدانية النار ..

كونوا لها الحطب المُنْتَهَى والقلوب : الحجارة ،

كونوا .. الى أن تعود السماوات زرقاء ،

والصحراء بَنُولا ..

تسير عليها النجوم محملة بسلال الورود .

... ..

أقول لكم : لا نهاية للدم ..

قل في المدينة يضرب بالبوق ، ثم يظل الحبل

على سير النوم ؟

هل يرفع الفخ من ساحة الحقل .. كي نطمئن العصفار

أن الحمام المطوق ليس يقدم بيضته للثعابين ..

حتى يسود السلام

فكيف أقدم رأس أبي ثمناً ؟

من يطالبني أن أقدم رأس أبي ثمناً .. تهر الفواضل آمنة

وتبيع بسوف دمشق : حريراً من الهند ،

أسلحة من بخارى .

وتبتاع من بيت جالاً العيذ ؟

« مرآة الجامعة »

سار ميراثنا في يد الغرباء .

وصارت سيوف العدو : سقف منازلنا .

نحن عباد همس يشير بأوراقه نخو أزوقه الظل .

إن التويج الذي يتطاوّل :

يفرق هامته السقف ،

يمخرق قائمته السيوف ،

إن التويج الذي يتطاوّل :

يسقط في ذبذبة المنسكب !

نسني — بعد خيل الأجانب — من مراء أبارنا .

صوف حملاننا ليس يلتف إلا على مغزل الجزية .

النار لا توهج بين مضاربنا .

بالعيون الخفيفة نستقبل الضيف .

وَيَعْلَدَنَّ لِلثَّوْمِ حِينَ أَغَالِبَ دُمْعَى ،

وَأُرْوِي لَهْنَ الْحَكَايَا

عَنْ الْمَلِكِ النَّسْرِ

وَالِهَيْلِكِ الْعَلَسِ

فَإِنْ بَمَنْ .. جَاءَ أَيْ .. لِهَيْزُ الْأَرَجِيحِ ..

بَلْعَسِ وَجَنَانَهُنَّ ..

وَيُعْطَى لَهْنَ اللَّعَبِ ..

وَيَمْضَى .. وَعِبْنَاهُ مَسْبِلَتَانِ ..

وَمَسَاقُهُ تَشْتَكِيَانِ الْعَبِّ ..

أَبَى ظَلَمَى يَارِجَالِ

أَرَيْقُوا لَهُ الدَّمَ كَيْ يَرْتَوَى .

وَصَبُّوا لَهُ جَرْعَةً جَرْعَةً فِي الْفَوَادِ الَّذِي يَكْتَوِي

عَسَى دُمُهُ الْمُسْرَبُ بَيْنَ عُرُوقِ النَّبَاتَاتِ ،

بَيْنَ الرَّمَالِ ..

بَعُودٌ لَهُ قَطْرَةٌ قَطْرَةٌ ..

فَبَعُودٌ لَهُ الزَّمَنُ الْمُنْطَوِي .

.....

أَهْكَارُنَا تَبَيَّاتٌ ..

وَأَوْلَادُنَا لِلْفَرَاشِ ..

وَدَرَاهِمُنَا فَوْفَهَا صُورَةُ الْمَلِكِ الْمُقْتَصِبِ .

أَبَادَى الصَّبَابَةِ الْخَنَائِثُ نَضُمُ عَلَى صَدْرِهِ نَصَفَ ثَوْبِ .

وَيَبْقَى عِبُونُ كَلْبِ مَسْمُورَةٍ فِي شَوَاسِي الْجَنَائِثِ .

أَسْأَلُ :

مَنْ لِلصَّغَارِ الَّذِينَ يَطْرُونُ — كَالْتَحْلِ — فَوْقَ التَّلَالِ ؟

وَمَنْ لِلْعَذَارَى اللَّوَانِي جَعَلَنَّ الْقُلُوبَ :

قَوَائِدَ تَحْفَظُ رَاحَتَهُ الْبَرْتَقَالِ ؟

وَمَنْ مَسْرُوضٌ مُهَزَّ الخِيَالِ ؟

وَمَنْ مَبْضُمٌ — فِي آخِرِ الصَّبَدِ — جُرْخَ الْغَزَالِ ؟

وَمَنْ لِلرَّجَالِ ..

إِذَا قِيلَ : مَا نَسَبُ الْقَوْمِ ؟ ... ؟

فَانْسَكِبَتْ فِي خُدُودِ الرَّمَالِ دُمُوعُ السُّؤَالِ ؟

بَنَاتُ أَيْ — الزَّهْرَاتِ الصَّغِيرَاتِ — يَسْأَلُنِي

لَمْ أَهْكَى أُمِّي !

وَهَكَى مَثَلِي ،

خصومة فلي من الله .. ليس سواه
أبي أئخذ المُلْك سبعا لسيف ، فهل يؤخذ المُلْك
منه اغتيالاً ،

وقد كللته يدا الله بالنّاج ؟ !

هل تُنزع النّاج إلا البدان المباركين ،

وهل هان ناموسه في البرية

حتى يتوج لصر .. بما سرقته يداه ؟

خصومة فلي من الله ..

إني أئزّه سهم منبه أن يجيء من الخلف ،

إن الذي يُطلق السهم ليس هو الفرس ..

بل قلب صاحبه ،

والذي يجعل النفس تستقبل الموت راضية .. تبذل واحبوه .

فأنا أرفض الموت غدراً ..

فهل نزل الله عن سهم الذهب لمن يستهين به .

هل تكون مكان أصابعه .. بصمات الخطاه ؟

خصومة فلي من الله .. ليس سواه !

كلب يموت ..

ككلب نصادفه في الفلاة ؟

إذن فلماذا كسا وجهه الصورة الآدمية ؟

هل كرم الله إنسانه ؟

مات من مات كلباً .. فأين إذن ذهب الآدمي الذي

فدّ براه ؟

خصومة فلي من الله

فلي صغير كفستغني الحزين .. لكنّه في الموازين

أنفل من كفة الموت

هل عرف الموت فقد أبيه ،

هل اغترف الماء من جئول الدمع ،

هل ليس الموت ثوب الجهاد الذي حاكه .. ورماه ؟

خصومة فلي مع الله

أين وريث أبي ؟

ذهب الملك ،

لكن لاسم أي حق أن يتناقله أبته عنه

فكيف يموت أبي مرتين ؟

أيتها الأنجم المظونة الوجوه :

فولى له :

قد سلّيت حباييين ..

أبني حياه ..

ورد حياه ..

خصومة قلبي مع الله .

هذا الكمّال الذي خلق الله هيأته ،

فكّنا العظم بالذخيم ،

ها هو : جسماً — يعود له — دون رأس ،

فهو يتقبل يوبئ . شبيب ما شابه العيب ،

أم أن رجّة العدائية :

أن يرجع الشلّو للأصل ،

أن يرجع البعد للفتيل ،

أن ينهض الجسد المنزق مكتمل الظل

حتى يعود إلى الله .. متحداً في بهاء ؟

(٣)

يجيء أخسى

هل عباءة الريح ؟

هل سيفه السيوف ؟

هل يتمنطق فوق جوارح السحاب ؟

يجيء أخسى !

غافلاً عن كتاب الموابيت

عن دموع الملكى ،

عن الصولجان الذي صار مقبضه العاج :

رأس غراب !

يجيء أخسى .

(كان يعرف القلب !)

أفدّف نقاحة

ينصدي لها وهو يطحنها بالركاب !

(هي الخطأ البشرى الذي حرم النفس فردوسها

الأول المستطاب)

أتنى ، فأفدّف نقاحة ..

نستقر على رأس حزنه !

(أيها الوطن المستدير .. الذي تنفّ الحرب عذره

بالحراب)

.. ونقأه تلعفها بذه !

(هي جوهره المثلث ،

جوهرة العدل ،

جَوْهَرَةُ الْحُبِّ ..

فَالْحُبُّ آبٌ !

... ..

فَلْيَرْبُ ثَلَاثِيَّةَ شَارَةِ الزَّمَنِ الْفَادِمِ الْمَسْتَجَابِ

فَقُولُوا يَا شَبَابِ !

لَمَنْ جَاءَ مِنْ رَحِمِ الْغَيْبِ ،

تَحَاضَّرْ بِسَافِهِ فِي بَرَكَةِ الدَّمِ ،

لَمْ يَتَأَثَّرْ عَلَيْهِ الرِّشَاشُ ،

وَلَمْ يَبْذُ شَائِبَةً فِي الثِّبَابِ !

فَقُولُوا لِلْهَلَالِ الَّذِي يَسْتَدِيرُ ..

لِيَصْبَحَ هَالَاتِ نَوْرِ عَلَى كُلِّ وَجْهِ وَبَابِ !

فَقُولُوا يَا شَبَابِ !

كَلِيبٌ يَعُودُ ..

كَعَفَاءَ فَدَا أَحْرَفَ رِيَشَهَا

لِتُظَلَّ الْحَفِيفَةُ أَيْمَى ..

وَتَرْجِعَ حَلَّتْهَا - فِي سَنَا الشَّمْسِ .. أَزْهَى ..

وَنَفَرَدَ أَجْنَحَةُ الْغَيْدِ ..

فَوْقَ مَدَائِنِ تَهَضُّ مِنْ ذِكْرِيَاثِ الْخِرَابِ !!

« أَشَارَاتُ تَارِيخِيَّة »

البسوس :

هي المرأة التي أثارت الفتنة بين قيس ، وأشعلت الحرب أربعين سنة ، وأثارت بني بكر على بني نعلب ، وحملت اسمها الملقبة . وهي كما نقول الرواية (شاعرة) عمجوز من عجائب الزمان ، ذات مكر واحتيا (وخفاه) . وكان لها أربعة أسماء (معاد .. ناج .. بنت .. هند . البسوس) وهي أخت الملك حسان الهنائي الذي قتله الأمير كليب . أجل أخته عمه وخطيبه الجليلة .

كليب بن ربيعة :

اسمه وأتل وكليب لقبه ، نشأ في حجر أبيه ، وحرب على الحرب ، ثم تولى قيادة الجيش لبكر ونعلب زمننا . فكان ليث الصدام وثقة اللبائي كما تقول الرواية .

ليلة بنت مرة :

وفد اختصمت مع امها لانها أخت قاتل كليب .. حتى رحل
الجليلة مع فومها .

شاعره .. أبة عم كليب وزوجته التي انجبت له سبعة بنات
ولد بعد موته هو (المجرس) البطل المنتقم لأبيه .

وبعد مقتل زوجها كليب على يد أخيها جساس خرجت من
قلب ونقلت مع بنى شيان فومها مدة حروبهم حتى ماتت .

سامة :

كبرى بنات كليب .. تقول الرواية انها رفضت الدية في أبيها

ثابت تقول :

« أنا لا أصالح حتى يفرم والسدى

ونسرا وركب يريده لفاكم »

ساس بن صوة :

عندما أعلنته الجماعة وصبة أبيها قال : انى لا اصالح الى الابد ما
دامت روحي في هذا الجسد .

ابن عم لكليب وقتله بعد ان نجحت البسوس (التى اغامت في
سيفته) في أن تثير الفتن : بأن أمرت عبيدها أن يظلفوا نافثها الجرباء
بى في البستان المعروف بحى كليب . وتدمر الاشجار والاسوار ..
نى أمر كليب بذبح النافقة . ويقال أن جساسا هو آخر قتيل في
رب البسوس التى امنتمرت منذ مقتل كليب وحتى مصرع جساس
بين عامي :

لهل بن ربيعة :

هو سالم الملقب بالزير أو أبو لبلى المهلهل الكبير .. أخر
بيب ويطل السيرة والملحمة .. بصفه الرواه : (بالامد الكرار والبطل
انغوار صاحب الاشعار البدعة والوفائع المهولة المريعة) .

« تدليل »

« حاولت أن أقدم في هذه المجموعة حرب البسوس التي استمرت أربعين سنة عن طريق رؤيا معاصرة .

وفد حاولت أن أجعل من كليب رمزا للمجد العربي الفئيل »
للأرض العربية السلبية التي نريد أن نعود الى الحياة مرة أخرى ولا نبت
سبيلا لعودتها أو بالأحرى لاعادتها الا بالدم .. وبالدم وحده ..

وهذه المجموعة عبارة عن قصائد مختلفة ، استحضرت
شخصيات الحرب وجعلت كلا منها يدلي شهادتها التاريخية حول رؤيتي
الخاصة .. ومن الطبيعي أن يكون لكل من هذه الشخصيات شهادته
المختلفة عن شهادة الأخرى ..

لقد استحضرت الملك كليب نفسه في ساعاته الأخيرة ، وأدلت
الجماعة التي كانت ترفض الصلح بشهادتها وكذلك فعل المهلهل الذي
قاد الحرب انتقاما له .. وقدمت شهادة جساس مع نبراته الجريئة ثم

شهادة جليظة بنت مرة الممزقة بين البطلين .. زوجها وأختها » ثم أتيت
بشهادات لبعض الشخصيات التي تلعب دورا معلقا على
الاحداث ..

أمل دنقل
عن مجلة آفاق عربية ١٩٨١

والديوان بصورته، الأخوية هذه .. يحتوى على شهادتين تو
فصيدتين فقط هما : « الوصايا العشر » ، وأقوال الجماعة ومراثيها ،
كتبت فصائله ما بين (١٩٧٦ - ١٩٧٧) -

أما الشهادات (الفصائد) الأخرى التي تحدث عنها أمل قد
ظلت تبديل وتغير يوما بعد آخر ، رافضة الوصول إلى حل يقم
الشاعر باكتمالها النهائي ، ذلك على الرغم من اكتمال اجزاء كثيرة منها في
ذاكرة الشاعر (الذي لا يسجل فصيلته على الورق إلا بعد أن يقم
باكتمالها الأخير)

ومات أمل قبل ان تكتمل شهاداته (فصائله) في ذهنه
المبدع ، وقبل أن يقنع ذهنه المبدع بصيغه ابداعية أخيرة ، وقبل أن
يتقن الزير لفتل أعبه كليب ، وقبل أن تضع الحروب لوزارها ، لتظل
الرؤيا باحة عن حل يكتمل في الابداع ، أو ينحفي في الواقع .

أوراق الغرفة [٨]

الخواجا بورد خاتون
 زاده احمد زنگنه
 قيس ١

عم صباحاً أيها الصقر المُنَجِّع
 عم صباحاً .
 سنة تمضي ، وأخرى سوف تأتي .
 فمتى يقبل موتى ..
 قبل أن أصبح — مثل الصقر —
 صقراً مستباحاً ؟!

بكائية لصقر فريش

الورقة الأخيرة
الجنونى

سورة

هل أنا كنت طفلاً ..
أم ان الذى كان طفلاً سواى ؟
هذه الصور العائلية ..
كان أبى جالساً ، وأنا واقف .. تخذلى يداى !

رفسة من قُرس
قُرئت فى جيبى شجاً ، وعلمت القلب أن يحرس .
أتذكر ...
سال دى
أتذكر ..
مات أبى نازفاً .

أندكر ..
هذا الطريق إلى قبره ..
أندكر ..
أختى الصغيرة ذات الريعين .
لا أندكر حتى الطريق إلى قبرها
المنطمس

أو كان الصبى الصغير أنا ؟
أم نرى كان غيرى ؟
أحدق ..
لكن تلك الملاح ذات العلوية .
لا تنمى الآن لى .
والعيون التى تترفرق بالطيبة
الآن لا تنمى لى .
صرت عنى غريباً .
ولم يتن من السنوات الغريبة
إلا صدى اسمى ..

وأسماء من أُنذِرهم — فجأة —
 بين أعمدة النعْي ،
 أولئك الغامضون : رفاق صباي .
 يغفلون من الصمت وجهاً فوجها ..
 فيجتمع الشمْل كل صباح ،
 لكي نأتنس .

وجه

كان يسكن قلبي
 وأمسكن غرفته
 نقسام نصف السرير ،
 ونصف الرغبة ،
 ونصف اللفافة ،
 والكتب المستعارة .

هجرته حبيبه في الصباح فمزق شريانه في المساء ،
 ولكنه بعد يومين مَزَق صورتها ..
 واندهش .

لم يتخدش .
 واستراح من الحرب ..
 عاد ليسكن بيتاً جديداً
 ويكسب فونا جديداً
 بدخن علبه نيق بكاملها
 ويجادل أصحابه حول أخرة الشاي ..
 لكنه لا يغيّر الزبارة :
 عندما احتفت لوزاته ، استشار الطبيب ،
 وفي غرفة العمليات ..
 لم يصطحب أحداً غير تحف ..
 وأنبوبة لقياس الحرارة ،
 فجأة مات !
 لم يحتمل قلبه سربان المخدر ،
 وانسحبت من على وجه سنوات العذابات ،
 عاد كما كان طفلاً ..

بشاركتي في سريري
وفي كسرة الخبز ، والتبغ ،
لكنه لا يشاركني .. في المرارة !

وجه

لبت « أسماء » نعرف أن أباه صغذ
لم بحث
هل يموت الذي كان يحيا
كان الحياة أبد !
وكان الشراب نفذ !
وكان النبات الجميلات بمشبن فوق الزبد !
عاش منتصباً ، بينها
بنحني القلب يبحث عما ففد .
لبت « أسماء » تعرف أن أباه الذي ..
حفظ الحب والأصدقاء نصاويره : .
وهو مضحك ،

وجه

من أفاصي الجنوب أنى ، عاملاً
للبناء
كان يصعد « سفالة » ويغنى لهذا الفضاء
كنت أجلس خارج مفهى قريب ،
وبالأعين الشاردة ..
كنت أقرأ نصف الصحيفة ،
والنصف أخفى به وسخ المائدة .
لم أجد غير عبتن لانبصران ..
ونعيط الدماء .
وانحنيت عليه .. أجلس يده
قال آخر : لا فائدة

بأنى المعزَّون منشحين ..

بشارت لون الحداد ؟

هل لأن السواد ..

هو لونُ النجاة من الموت ،

لون التقيّة ضد .. الزمن ،

ضد من .. ؟

ومتى القلب — فى الحفّاقان — اطمأن ؟

بين لونين : أستقبل الأصدقاء ..

الذين يرون سريرى فبرا

وحباتى ... دهرا

وأرى فى العيون العميقة

لون الحفيظة

لون نراب الوطن 1

فى غُرب العمليات ،

كان نفاثُ الأطباء أبيض ،

لونُ المعاطف أبيض ،

ناجُ الحكيمات أبيض ، أرديةُ الراهبات ،

الملاءات ،

لونُ الأسرة ، أربطةُ الشاش والفتن ،

فرصُ المنوم ، أنبوبةُ المصل ،

كوبُ اللبن .

كلُّ هذا يشيعُ بقلبي الوهن .

كل هذا البياض يذكرنى بالكفن !

فلماذا إذا متُّ ..

ثم أفافت على غرضيها في زجاج الدكاكين ، أو بين أيدي
المنادين ،

حتى اشتريتها البذ المتفضلة العابرة
نتحدث لي ..

كيف جاءت التي ..

(وأحزائها الملكية ترفع أعانها الخضر)

كي نمنى لي العمر !

وهي نجود بأنفاسها الآخرة !!

كل باقة ..

بين إغماء وإفاقة

تتنفس مثلي — بالكاد — ثانية .. ثانية

وعلى صدرها حملت — راضية ..

اسم فأنبلها في بطاقة !

وسلاي من الورد .

ألحها بين إغماء وإفاقة

وعلى كل باقة

اسم حاملها في بطاقة

... ..

نتحدث لي الزهرات الجميلة

أن أعينها اتسعت — دهشة —

لحظة الفطيف ،

لحظة الفصيف ،

لحظة إعدامها في الخميعة !

نتحدث لي ..

أنها سقطت من على عرشها في البساتين

السريـر

أوموني بأن السريـر سريـرى !

أن قارب رُغ

سوف — يحملنى عبر نهر الأفاعى

لأولـذ فى الصبح ثابـة .. إن سَطَعَ

(فوق الوريـق المصقول

وضـعوا رقىـى دون اسم

وضـعوا نذكـرة الدـم

واسـم المرض الجـهول)

أوموني فصـدقت ..

(هذا السريـر

ظننى — مثله — فاقتـد الروح

فالنصفـت بي أضلاعـه

والجماعـد يضمـ الجماعـة لحيـمة من مواجـهـة الناس !)

صيرت أنا والسريـر ..

جسداً واحداً .. فى انتظار المصير !

(طول الليالـى الألف

والأذرعـة المعدنـ

تلفـ وتتمكـن

فى جسدى حتى النزفـ

صيرت أقدر أن أثقـب فى ثومنى واضطجاعى

أن أحرـك نحو الطعـام ذراعى ..

واستبان السريـر بخـداعى ..

فارتعـش !

وتداخـل — كالتنفـيز الحجريـ — على صمته وانكمشـ

قلت : يا سبـدى .. لم جافبتى ؟

قال : ها أنت كلمتى ..

وأنا لا أجيب الذين يمرون فوق

سوى بالانين

فالأسرة لا تستريح إلى جسد دون آخر
الأسرة دائمة

والذين يتألمون سرعان ما ينزلون

نحو نهر الحياة لكي يسبحوا

أو يفوضوا بنهر السكون !

لعبة النهاية

في المبادي يجلس ،

بطلق — كالطفل — نبلته بالخصي ..

فبصيلته بها من بصيب من السابلة !

بنوجه للبحر ،

في ساعة المد :

ب طرح في الماء منارة الصيد ،

ثم يعود ..

ليكنب أسماء من علقوا

في أحاييله الفائلة !

لا بحب البساتين ..

لكنه ينسلل من سورها المأكلي ،
يصنع ناجاً :

جواهره .. الثمر المنعم ،
لكلبه .. الورق المنفض ،
• بلبسه فوق طوق الزهور

الخريفية
الذابلة 1

يتحول : أفعى .. ونايا
فهرى في المرايا ::

جسدين وفلين متحدثين ،
(نغم الزوايا
ونحكي العيون حكايا)
فنسل بينهما ..

مثل محيط من العرف المنفصلي ،
يلعن دماء مسامهما ،

يفرس الناب في موضع القلب :
تسقط رأس الفنى في الغطاء ،

وتبقى الفتاة ..

محدقة

ذاهلة .. 1

أمس : فاجأته واقفا بجوار سريري
ممسكاً — بيد — كوب ماء

ويد — محبوب الدواء

فتناولها .. 1

كان مهنساً

وأنا كنت مستسلماً

لهيرى !!

عن لذة الاغتراب
وعبودية الأغصن الثانية .

(٢)

أخذوا أصدقائي للسجن ،
لكنهم في لبالي الحنين
يقبلون ، لشرب كأسين ..
في البار ذى الردهة الخالية
فإذا دفت الساعة الثانية

صفق الخدم المنعبون
فاختفى أصدقاؤى وهم بضحكون
— نلتفى ثانية
— نلتفى الليلة التالية ..

... ..

بعدها خرجوا : انقطع الخطب ما بيننا
واستطال السكون
كان ما بينهم : ذكريات .. وخيز مرير
ومسحة حزن

ديسمبر

(١)

تسافط أورائى « ديسمبر » الباهنة !

... ..

هو غمّر من الريح
(هذا الذى بين أن تترك الورقة الغصن
حتى تلامس أطرافها حافة الأرض)
عمر من الاضطراب

فافتش جوارى — أبها الباحثات عن الذات —
وجه التراث
ونعالين .. نرو الأفاصبص ..
عن راحة الروح

قلت : ها أصبحوا ورقا ثابتا في شجرة سجن
فمنى يفلتون
من الزمن المتوقف في ردهات الجنون ؟

(٣)

هاهو الرُّخ ذو الخليلين بمحوم ..
ليحمل جثة دبسمير الساخنة
ها هو الرخ يهبط ..
والسحب تلقى على الشمس طرحها اللدائنة

قالت الراهبات :

(سلام على الأرض !)

يا أيها الرُّخ : كم جثة حملنا غالك الأبدية خلف الجبل ؟؟
ما الذي نحن نعطيك — يا أيها الرخ — منذ الأزل ؟
ما الذي نحن نعطيك ؟
لا شيء إلا نوابيت ، لا شيء ،
إلا المبادلة الخائبة .
جئت تتراكم في الضفة الساكنة

بينما نحن — نملك التور

عشب البحراب — صوت الكتاريا —
بجاسة الورد — أنشودة المهدي — رفض
البيات الصغيرة في العرس — غنمة
القط في الصلوات — حذر النايغ —
هذا التساؤل عن لون عينين عاشقتين ،
كناقذين على البحر — طعم القيل ؛
بينما أنت من ظلمة العدم الآسنة
تتلقى التفاباب نلو التفاباب دون كلل
عاجزا عن ملازمة الفرح العذب ،
عن أن نبل جناحك في مطر القلب
أن تتطهر بالرفة الفاتنة !!

(٤)

قلت للورق المنساق من ذكربات الشجر
إنني أنرك الآن — مثلك — بيني القديم
حبث نلقى بني الربح أرسو —

وليس معي غير :

حرقى المقيم
وجواز السفر !

الطيور

(١)

الطيور مشردة في السموات ،
ليس لها أن نخط على الأرض ،
ليس لها غير أن تنفذها قلوأت الرياح !
ربما تنزل ...
كي تستريح دقائق ..
موق التخييل — المجيل — التمايل —
أعمدة الكهرباء —
حواف الشيايك والمشرقيات
والأسطح الخرسانية .
(اهدأ ، ليلنقط القلب تهيدة ،

والفم العذب نغريد ،

والقط الرزق ..)

سرغان ما تنفزع ..

من نقلة الرُّجل ،

من نبلة الطفل ،

من ميلة الظل عبر الحوائط ،

من حصوات الصباح !

...

الظبور معلقة في السموات

ما بين أنسجة العنكبوت الفضائي : للمريخ

مرشوفة في امتداد السهام المضيق

للشمس ،

(رفرف ..

فليس أمامك —

والبشر المستبحون والمستباحون : صاحون —

ليس أمامك غير الفراز ..

الفراز الذي يتجدد .. كل صباح !)

(٢)

والطيور التي أفعدتها مخالطة الناس ،

مرّت طمأنينة العيش فوق مناسيرها ..

فاننحط ،

وبأعينها .. فارتحنت ،

وارنضت أن نفاق حول الطعام المتأخ

ما الذي يبيغ لها .. غير سكينه الذبيح ،

غير انتظار النهاية .

إن البذ الآدمية .. واهية الفصح

نعرف كيف نسن السلاح !

(٣)

الطيور .. الطيور

نحنوى الأرض جثماتها .. في السفوح الأخيرة !

والطيور التي لا نظير ..

ضومته الرهش ، واستسلمت

هل تُرى علمت

أن عمر الجتاح قصير .. فصير ١٢

الجنأُ حياء
والجنأُ ردى .
والجنأُ نأأ ..
والجنأُ .. سدى !

الآبول

(١)

الصنوحأ — فى الأرض — مكنوبة بدماء الآبول .
وآءو الممالك
رسمها السنالك .
والركابان : ميزان عءل بميل مع السيف ..
آب بميل !

» » »

أركضى أو ففى الآن .. أبها الآبل :
لسف المغرب صبأ
ولا العاءبان — كما قبل — صبأ

ولا خضرة في طرفك تمحي

ولا طفل أضحي

إذا ما مروت به .. يتنحي ؛

وها هي كوكبة الحرس الملكيّ ..

تجاهد أن تبعث الروح في جسد الذكريات

بدني الطبول .

اركض كالسلاحف

نحو زوايا المناحف ..

صيرى تماثيل من حجر في المبادي

صيرى أراجيح من خشب للصغار — الرياحين ،

صيرى فوارس حلوى بموسمك النبوي ،

وللصبيبة الفقراء : حصاناً من الطين

صيرى رسوماً .. ووشماً

تجف الخطوط به

مثلما جف — في رثبك — الصهيل !

(٢)

كانت الخيل — في البدء — كالناس

برية تتراكم عبر السهول

كانت الخيل كالناس في البدء ...

تملك الشمس والعشب

والمملوك الظليل

ظهرها .. لم يوطأ لكي يركب القادة الفاعلون ،

ولم يلمن الجسد الحر تحت سياط المروض

والفم لم يمثل للجام ،

ولم يكن الزائد .. بالكاد ،

لم تكن الساق مشكولة ،

والخوافر لم يك يتقلها السنبك المعدني الصغبل .

كانت الخيل برية

تتنفس حرة

مثلما يتنفسها الناس

وفي ذلك الزمن الذهبي النبيل

• • •

أركضى... أو فقى

زمنٌ بتقاطُع

واخترب أن نذهي في الطريق الذى يتراجع

تحدّر الشمس

ينحدّر الأمس

تنحدّر الطرف الجبلية للهوة اللانهائية :

الشهب المنفحمة

الذكريات التى أشهرت شوكها كالفتافد

والذكريات البنى سلخ الخوف بشرها .

كل غير يحاول أن يلمس الفاع

كل البنايع إن لمست جدولاً من جدولها

تخفى

وهى .. لا نكتفى !

فأركضى أو فقى

كل درب يفودك من مستحيل إلى مستحيل !

(٣)

الخبول بساط على الريح ..

صار .. على منته .. الناس للناس عبر المكان

والخبول جدار به انفسم

الناس صنفين :

صاروا مشاة .. وركبان

والخبول التى انحدرت نحو هوة نسيانها

حملت معها جبل فرسانها

تركّت خلفها : دمعاً الندم الأبدى

وأشباح خيل

وأشباح فرسان

ومشاة يسرون — حتى النهاية — تحت ظلال الهوان .

أركضى للفراخ

وأركضى أو فقى في طريق الفراخ .

تساوى عصاة الركض والرفض في الأرض ،

ماذا تبغى لك الآن ؟
ماذا ؟

سوى عري بنصب من تعب
يستحيل دنائير من ذهب
في جيوب هؤاة سلالنك العربية
في حلبات المراهنة الدائرية
في نزوة المركبات السياحية المشهورة
وفي المتعة المشنقة
وفي المرأة الأجنبية تعلوك تحت
ظلال أفى الهول ..
(هذا الذى كسرت انقه
لعنة الانتظار الطويل)

استدارت — إلى الغرب — مزولة الوفى
صارت الخيل ناساً تسمير إلى هؤاة الصمت
بينما الناس خيل نسير إلى هؤة الموت !

مقابلة خاصة مع ابن نوح

جاء طوفان نوح !

... ..
المدنة تفرق شيئاً .. فشبعاً
تفر العصافير ،
والماء يعلو .

على درجات الببوت — الخوانيت — مبنى البريد — الي
التماليل (أجدادنا الخالدين) — المعابد — أجولة القمعج
مستشفيات الولادة — بواية السجن — دار الولاية —
أروقة الثكنات الحصنة .
العصافير تحملو ..

رويداً ..
رويداً ..

وبطفو الإوز على الماء ،

بطفو الأثاث ..

ولعبة طفل ..

وشهفة أم حزينة

الصبايا يلوحن فوق السطوح !

باء طوفان نوح .

ا هم « الحكماء » يغرون نحو السفينة

المغنون — سائس نخيل الأمير — المرابون —

فاضي الفضاء

.. ومملوكة ! —

عامل السيف — رافضة المعيد

(ابنهجت عندما انتشلت شعرها المستعار)

— جباة الضرائب — مستوردو شحنات السلاح —

مشتري الأميرة في سمته الأتوى الصبوح !

ماء طوفان نوح .

يا هم الجبناء يغرون نحو السفينة .

بما كنت ..

كان شياؤ المدينة

يلجمون جواز المياح الجموح

ينقلون المياة على الكتفين .

ويستبقون الزمن

بينون سدود الحجارة

عَلَهُمْ ينفلون مهاذ الصبا والخضارة

عَلَهُمْ ينفلون .. الوطن !

.. صاح في سيد الفلك — قبل حلول

السكنة :

« انج من بلد .. لم تعد فيه روح ! »

قلت :

طوبى لمن طعموا عذره ..

في الزمان الحسن

وأداروا له الظهر

يوم الحزن !

ولنا المجد — نحن الذين وقفنا

(وقد طمس الله اسماءنا !)

نتحدى الدمار ..
ونأوى إلى جيل لا يموت

(بسمونه الشعب !)

نأبى الفرار ..
ونأبى النزوح !

... ..

... ..

... ..

كان قلبى الذى نسجته الجروح
كان قلبى الذى لعنته الشروح
يرقد — الآن — فوق بقايا المدينة
وردة من عطن

هادئا ..

بعد أن قال « لا » للسفينة
.. وأحب الوطن !

خطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين

ها أنت تسرخى أخيرا ..
فوداعاً ..

يا صلاح الدين .
يا أيها الطيّل البدائي الذى نرافض الموتى
على إبقاعه المجنون .

يا فارب الغلبين
للغرب الغرقى الذين شنتهم سفن الفراعنة .
وأدركتهم لعنة الفراعنة .
وسنة .. بعد سنة ..

صارن لهم « حطين » ..
غيمة الطفل ، واكسبز الغد العتيد

(جبل النوياد حبّاك الحبا)
(وسقى الله ثراننا الأجنبي !)

مُرّت خيولُ الترك
مُرّت خيولُ المشرّك

مُرّت خيولُ الملك — البسر ،
مُرّت خيولُ التمر البافين

ونحن — جبلا بعد جبل — في مبادين المراعنة
نموت تحت الأحصنة !

وأنست في المذباع ، في جرائد النهوين
نستوقف الفارين

نخطب فيهم صائحا : « حطين » ..
ونرندي العقال نارة ،

ونرندي ملايس الفدائين

ونشرب الشاي مع الجنود

في المعسكرات الحسنة

ونرفع الراية ،

حتى نسترد المدن المراهنة
ونطلق النار على جوادك المسكين
حتى سقطت — أبها الزعيم
واغتالتك أيدي الكهنة !

(وطني لو شغلّت بالخلود عنه ..)
(نازعتني — مجلس الأمن — نفسي !)

ثمّ ها صلاح الدين
ثمّ .. تتدلى فوق فيرك الورود ..
كالظليل !

ونحن ساهرون في نافذة الحنين
نُفثُ النفاخ بالسكين

ونسأل الله « الفروض الحسنة » !

فاشحة :

آمين .

نصّر الریح ؛ وأضلاّعك كالروض المصنوخ
تنشهى لذغة الشمس التي تنسج للدفع وشاحا !

أنت ذا باقي على الرايات مصلوبا .. مباحا

— « اسفني .. »

لا يرفع الجند سوى كوب دم .. مازال يسفح !

— « اسفني .. »

— هالك الشراب النبوى ..

اشربة عذبا وقراحا

مثلما يشربه الباكون ..

والماشون في أنشودة الفجر المسلخ !

— « اسفني .. »

لا يرفع الجند سوى كوب دم مازال يسفح !

بينما « السادة » في بوايق الصمت المملج

يتلقون الرياحا

ليلفوها بأطراف الصبايات ..

يدقوا في ذراعها المسامير ..

بكائية لصفر قريش

عِمْ صباحاً .. أيتها الصفر المُنحَنج

عم صباحاً ..

هل ترقبت كثيرا أن نرى الشمس

التي تغسل في ماء البحيرات الجراحا

ثم تلهو بكرايت النليج ،

بسنلقى على التربة ،

نستلقى .. وتلفح !

هل نرقت كثيرا أن نرى الشمس .. لتفرخ

وتسد الأفق للشرق جناحا ؟

أنت ذا باقي على الرايات .. مصلوبا .. مباحا

ونبقى أنت

(ما بين خيوط الوشي)

زرّاً ذهبياً

ينأرجح !

وقف « الأغراب » في بوابة الصمصم المملح

يشهرون الصلّف الأسود في الوجه سلاحا

بنقلون الأرض : أكباساً من الرمل .

وأكداساً من الظل

على ظهر الجواذ العريّ المترنّج !

بنقلون الأرض ..

نحو النافلات الراسيات — الآن — في البحر

التي تنوى الرواحا

دون أن تطلق في رأس الحصان

طلقه الرحمة ،

أو تمنحه بعض امتنان !

عم صباحاً أيها الصفرُ المُجتنَح

عم صباحاً .

سنةً تمضي ، وأخرى سوف تأتي .

فمنى بفيل موى ..

فيل أن أصبح — مثل الصقر —

صفرّاً مستباحاً ؟!

قالت امرأة في المدينة

(١)

سيف جدى على حائط البيت .. يبكى :

وصورته في ثياب الركوب !

(٢)

قالت امرأة في المدينة

من ذلك الأموي الذي بباكى على دم عثمان !

من قال إن الخيانة تنجب غير الخيانة ؟

كونوا له يا رجال ..

أم تحبون أن ينقأ أطفالكم نحت

سيف ابن هند ؟

ربما ردت الريح — سيدق — نصف رد

ضاع .. وابتلعه الرمال !

نحن جبل الحروب ..

نحن جبل السباحة في الدم ..

ألقنا بنا السفن الورقية فوق ثلوج العدم

(قبضات القلوب —

وحدها — حطمتها .. ومازال فيها الأسى والندوب ..)

نحن جبل الألم

لم تر القدس إلا تصاوير

لم نكلم سوى لغة العرب الفاعين

لم ننسلم سوى راية العرب النازحين ،

ولم نتعلم سوى أن هذا الرصاص

منابيع باب فلسطين

فاشهد لنا باقلم

أننا لم ننم

أننا لم نفد بين « لا » و « نعم »

ما أقل الحروف التي يتألف منها اسمُ ما ضاعَ من وطني،
واسمُ من مات من أجله

من أبح أو حبب !

هل عرفنا كتابةً أسمائنا بالمداد

على كتب النور ؟

ها قد عرفنا كتابة أسمائنا

بالأظفار في غرف الحبس

أو بالدماء على جيفة الرمل والشمس ،

أو بالسواد على صفحات الجرائد قبل الأخيرة .

أو بمحدد الأرامل في ردهات (المعاشات) ،

أو بالخيار الذي يتوالى على الصور

المنزلة للشهداء

الغبار الذي يتوالى على أوجه الشهداء ..

إلى أن .. نغيب !!

فالت امرأة في المدينة :

من يجرؤ الآن أن يخضع العلم الترمزي

الذي رفعته الجماجم ،

أو يبيع رغيف الدم الساخن المتخمر فوق الرمال .

أو يحدّ بدأ للعظام التي ما استكانت
(وكانت رجال ..)

كفى تكون فوائمه رائدة للتواقيع

أو قلماً

أو عصا في المراسم ؟

... ..

لم يجيبها أحد ..

غير سيف فديم ..

وصورة جد ا

إلى محمود حسن إسماعيل
في ذكره

واحد من جنودك يا سبلى .
قطعوا يوم مؤنة منى البدين
فاحتضنت لواءك بالمرفقين
واحتسبت لوجهك مستشهدى !

واحد من جنودك — يا أيتها الشعر —
هل يصل الصوت ؟
(والريح مشدودة بالمسامير !)
هل يصل الصوت ؟
(والعصافير مرصودة بالنواطير !)

هل يصل الصوت ؟
أم يصل الموت ؟
قل لى ، فإنى أناديك
من زمن الشعراء — الأناشيد
للشعراء — السجائب
من زمن الشعراء — الصعاليك
للشعراء — المماليك .
أرسم دائرة بالطباشير
لا أتجاوزها !
كيف لى ؟ وأنا أتمزق ما بين رُحتي !
والقدماني معلقان بفخين !
أعيايتي الكُرُ والفُرُ
واجنازتي الخير والشرُ
أيسر . نيسرُ ، حنى نيسرُ ، حنى نعثرُ .
أبين . نيمتُ ، حنى نيمتُ ، حنى نيمتُ .
أين المفر ؟ وأين المفر ؟
للخفافيش أسماؤها التى ننسئ بها !
فلمن تتسمى إذا انتسب النور !

والنور لا ينمى الآن للشمس
فالشَّمْسُ هالائها نحلن فيق العفالات .
هل طلع البدر من يرب أم من الأحمدى ؟
وبانت سعاد .

تراها تبين من البردة النبوية
أم من قلنسوة الكاهنين الخز ؟
واحد من جنودك يا سيدى

ألف بيت وبيت ..

واحنونك الكويث !

فعرفت بمونك أين غدى !

واحد من جنودك — يا أبها الشعر — !
كل الأحياء يرغلون

فترحل شيئا فشيئا من العين ألفة هذا الوطن
نتغرب في الأرض . نصبح أغربة في النابين نمنى
زهور السباتين

لا : زفف في صحيف اليوم إلا أمام العناوين
مروها دون أن يظرف الجفن .

سرعان ما نفتح الصفحات فيبل الأخيرة ،
ندخل فيها نجالس أحرقها ،
فتعود لنا ألفة الأصدفاء ، وذكرى الوجوه
تعود لنا الحيوية ، والدهشة القرصية
واللون ، والأمن ، والحزن .

هذا هو العالم المنفى لنا : إنه الصمت
والذكريات ، السواد هو الأهل والبيت .

إن البياض الوحيد الذى نرتجبه
البياض الوحيد الذى ننوح فيه :

بياض الكفن !

واحد من جنودك يا سيدى
حيزه تحتر ضيق
ماؤه بل ريق

والمامت بعينه كالوليد /

واحد من جنودك يا سيدى
يركع الآن يشد جوهرة تنخا في الوحل
أو قمرأ في البحيرات ،
أو فرساً نافراً في الغمام .

ها هو الآن ، لا نهر يغسل فيه الجروح
وينهل من مائه شربةً غسلك الروح
لا منزل لا مقام
فعلى الراحلين السلام
والسلام على من أقام .

تذييل

يضم هذا الديوان القصائد الأخيرة التي كتبها أمل دنقل (١٩٤٠ - ١٩٨٣) طوال فترة مرضه الذي صارع أربع سنوات . من أوائل سبتمبر ١٩٧٩ إلى أواخر مايو ١٩٨٣ . ولم نجد لهذا الديوان عنواناً أكثر صراحة من « أوراق الغرة (٨) » ، فالديوان يتطوى على أوراق أمل الأسمية ، والغرفة رقم (٨) هي آخر الغرف التي قادم فيها أمل مرضه ، قرابة عام ونصف ، في الدور السابع من « المعهد القومي للأورام » ، من فبراير ١٩٨٢ إلى يوم رحيله الساعة الرابعة من صباح السبت ، الحادي والعشرين من مايو ١٩٨٣ .

و « الجنوى » هي الورقة الأولى في هذا الديوان ، ولكنها الورقة الأخيرة في رحلة إبداع أمل دنقل ، فقد كتب في فبراير ١٩٨٣ ، وعطوى على رجليه النهاية التي أكتسبت دائرياً ، بعد تأملات الغرة (٨) عام ١٩٨٢ ، تلك التأملات التي صاغتها قصائد : « ضد من » ، و « زهور » (وكانت الكتابة النهائية لكنفهما في مايو ١٩٨٢) و « نمة النهاية » (الكتابة النهائية في يونيو ١٩٨٢) و « السرير » (نوفمبر ١٩٨٢)

وهناك قصائد أخرى — في هذا الديوان — تنتمي إلى تاريخ مغارب ، منها « الطيور » و « الخيول » ، وقد كتبت كلتاها عام ١٩٨١ ، ولكن أمل ظل يغير ليبدل فيما — كمعادنه في الحرص على أقصى درجات الدقة اللغوية ، وأقصى درجات التجانس البنائي — إلى أن أسفر عن الصياغة الأخيرة للطيور في أكتوبر من العام الماضي ، والصياغة الأخيرة للخيول في أواخر ديسمبر من العام نفسه . وعلى العكس من هاتين القصيدتين ، مازالت قصيدته في التكرير الرابعة لحسود حسن إسماعيل — إبريل ١٩٨١ — تنتظر اللمسة الأخيرة ، ولم تملك سوى أن سنجلصها من آخر مسوداتها .

أما بقية قصائد هذا الديوان فترجع إلى فترة زمنية غند من عام ١٩٧٥ . لا يحتمل هذه القصائد كل ما كتبه أمل دنقل في الرحلة السابقة على مرضه ، ولكنها كثير ما وجدته السيدة زوجته — عبلة الروني — من قصائد هذه المرحلة إضافة مع الدلالات الأساسية التي يندطو عليها هذا الديوان .

قصائد متفرقة

إلى صديقة دمشقية

إذا سبائك قائد التار
وصريت محطية ...
فشد شعرا منك في سعار
والفتض عذرية ..
واغرورقت عيونك الزرق السماوية
بدمعة كالصيف ، ماسية
وغبت في الأسوار
فمن ترى يفتح عين الليل بابتسامة النهار ؟

° ° °

مازلت رغم الصمت والحصار
أذكر عبيك المضيئين من خلف الحمار
وبسمة الثغر الطفولية ..
أذكر أمسياتنا الفصار
ورحلة السفح الصباحية
حين التفينا نضرب الأشجار
ونغذف الأحجار
في مساء فسفيه !

• • •

قلبي — ونحن نسدل الأستار
في شرفة البيت الأمامية :
لا نبتعد عنى
أنظر الى عنى
هل نسنحن دمعاً من أدمع الحزن ؟

ولم أجبك ، فالمباخر الشامية
والحسب والتذكار
طففت على الحنى
لم تبقي منى وهم ، أغنيه !
وفلت ، والصمت العميق ندفه الأمطار
على الشوارع الجليدية :
عدتُ اليك .. بعد طول النيه في البحار
أدفن حزني في عمير الخصلات الكسنتائية
أسير في جنائك الخضر الربيعية
أبلى ريق الشوق من غدراها ،
أغسل عن وجهي الغبار !!
نافحتُ عنك قائد التار
رشقتُ في جواده .. مديّة
لكنني خشيت أن تمسك الأخطار
حين استعالت في الدجى الرؤية
لذا استنطاع في سحابة من الغبار
أن يخطف العنراء .. تاركاً على يدي الإزار

كألوعهم ، كالغريه !

... ..

(.. مابالنا نسنذكر الماضي ، دعى الاطفال ..

لا ننبش الموتى ، نعى حرمة الأسرار ..)

• • •

ياكم تمنى زمرة الأشرار

لو مزفوا تنورة في الخصر .. بنية

لو علموك العزف في القيثارة

لنطربهم كل أم

حتى اذا انقضت أغانيك اليمشقة

نناهبوك ، الفادة الأفزام .. والإنصار

ثم رموك للجنود الانكشارية

بفضون من شبابك الاوطار !

• • •

الآن .. مهما بفرع الاعصار

نوافذ البيت الزجاجية ،

لن ينطفئ في الموقف المكثود رفض النار

نسنطق الأبدى على وهج العناق الحار

كبي تولد الشمس التي لختار

في وحشة الليل الشناثية !

أيلول ١٩٦٦

وظلت الأيدي تراوح الملاعق الصغيرة
وظلت الشفاة تلمق الدماء !

عشاء

قصدتهم في مرعد العشاء
تظلموا لي برهة ،
ولم يرد واحد منهم تحية المساء !
... وعادت الأيدي تراوح الملاعق الصغيرة
في طبق الحساء
... ..
نظرت في الوعاء :
هتفت : « ويحكم .. دمي
هذا دمي .. فانتبهوا »
.. لم يأنهوا !

لكننى ..

حين استفرت عينه على :

أدرك رأسى عنه ..

لم أفق على برقي عينيه الخفيف !

• • •

وحينا نعلمنى وأصدغانى فى الطريق .. موجة المرح
ونسرد روحنا فى الضحكات والغناء .

أبصره .. فى الجانب الآخر . يرنو مستخفاً ، باسم
فإن تجاوزناه .. ألفى عقب سيارته على الطوار
وداسه مغمفاً ..

ثم اختفى ..

كأنه شبح !

وفى طريق العودة الليلي .. ألفاه
يخرج من جوف الظلام فجأة .. على غير انتظار .
كأن باباً — فى الشتاء — مغلقاً .. فد انفتح
كأن نياراً من الهواء

البطاقة السوداء

« إلى أنور المعداوى »

أراه من نوافذ المنرو .. على محطات الوفوف
مستنداً بكتفه البصرى إلى الجدار
يلدبر فى أصبعه سلسلة

فضية الأطار

يرغب — باسم — نزاحم المناكب الفصير

ممسح عنباه زجاج النافذات الأبيض الشفيف ..

كأنه يبحث عن أحد .

كأنه يرغب من شرفته ،

هرولة السارين فى تسافط الأمطار والبرد !

بكنس من أعصابى الدفء .. وبنسأه !

.. يمر لى ؛ مدثرا بالمعطف الثقيل ،

هاديء الخطى ،

نلمع فى الظلام عيناه

يسأل — هامساً — عن الوقت بلا أكثرات
ويختفى ..

كأن أحدى الشجرات احتضنته ..

صبرته بعض ظلها الكثيف !

وفى سوبعات الضحى المشتمسة المعبدلة

حين تنقر العصافير ثمار النوت ،

مستدفئة من لذعة الخريف

أجلس فى المائدة المنعزلة ..

محدثاً صديفى ..

فى ذلك المفهى الربيعى الأليف

— حيث يمر النيل راعياً مغترباً

ويرفع الصباح راية الفرح —

مرتشفين من عصير الكلمات .. والثمار

معتفين فى ضمائر الحروف ..

وفجأة ..

يسقط من بدى القدح !

أحبه ممدا ساقبه فى المائدة المفايلة

يرمقنى من خلف نظارته السوداء خفية ،

محبباً بسمته خلف صحيفة الصباح .. المهملة !

• • •

وعندما دخلت « باراداي » فى اليوم الاخير

رأيت .. بمنحرف المقاعد الملقاة .. والأضواء

وبفتح الصنبور

مشعت الشعر ، يضح قلبه بالرعب واللاهات

.. نساقطت — قبل اغتساله — على الحوض النقى بفعلة

لكنه لم يكثرث !

رجل فى المرآة شعره الغزير

ثم دنا من جمع اصدافى الصغير

فقلنا عبتين ثعلبيتين في الوجوه ، صامتا
وفجأة ..

ألقى البنا ورقة دون إكتراث
ودون أن يلتفتا ؛

مضى إلى الخارج ..

ناركا على النفضة الحبرى بطافته
.. كانت بطافة سوداء ..

... ..

.. ومات في المساء !

لا أبكي

مصر لا تبدأ من مصر الغربية انها تبدأ من أحجار « طيبة »

انها تبدأ منذ انطبعت
نوبها الأخضر لايلى ، اذا
انها ليست عصوراً فهي الكل
أرضها لا تعرف الموت فما الموت إلا عودة .. أخرى .. فريضة .
حولها الرفص وأعياد الخصوبة .
نعبير الفطرة في الثيل فمن
فاذا البحر طواها ، تقوت
وأعاد الماء للنبيل هروبه
فمضى الثيل به — ثانية —
قدم الماء على الأرض الجديدة .
خلعته .. رقت الشمس ثقوبه .
في الواحد ، في الذات الرجبية .
وأسترد الماء في الوادى دروبه .
وأسترد الماء في مصر العلوية .
ظماً البحر اذا ما مد كعوبه !

هكذا شعلت بامصر له
 مات فيه الموت يوما .. فابتنى
 أبدا بينى وبينى غيره
 فإذا راح أبتى ثم ابتنى
 وكان الذل في الشعب ضريبة
 وكان الدم نيل آخر
 كل أبنائك بامصر مضوا
 الذي لم يفض في الحرب فضى
 والذي لم يفض في الفأس فضى
 اسمى في الليل أنات الاسى
 انها اسماء من ماتوا .. ولم
 يسمودون ، فلا نبكى ، فما
 أترى نبكين من مات .. لكى
 والذي مات لكى بنفس في
 ولكى بخنضن الطفل حفيبة
 ولكى بهوى حجاب الخوف عن

دوره الماء ونجواه الرطبة
 هرما للموت يستجلى غيوبة
 ناشرا فيه أساه وحروبه
 فالتقى الغازى اليه بالعقوبة !
 وأبتسام الصبر قد صار ذنوبه
 نستفى منه الرمال المستطية
 شهداء الغد في نيل وطية
 وهو يعطى الفأس والفرس وجبه
 حاملا أحجار اسوان الرهبة
 اسمى حزن المواويل الكيبة
 يروحوا القلب فقد صاروا ندوبة
 يرفض المحبوب ان نبكى الحبيبة
 نستعبدى راية الفكر السليبة
 كل قلب ناشئ حرق العروبة
 ولكى نفتات بالعلم الشيبة
 روح ربان الجمال المسترربة

ولكى يرفع سيف العدل في
 والذي لولاه مامرت لنا
 اترى نبكين بامصر ؟ أنا
 شرف الأبناء أن يمضى أم
 شرف للأب أن يمضى فلا
 انما يبكى ضعاف الناس ان

وجه أبناء الممالك الغربية
 حتى عور النار للحرب مسكية
 لست أبكيه وان كنت ربيبه
 بعد أن قدم للمجد نصيبة
 نعرى أبناء الروح الزغبية
 عجزوا ان يدركوا حجم المصيبة

م ١٩٧٣

العراف الأعشى

فول من أين ؟

الصمت صديقا ..

والكلمات بلا عيين !

... ..

للمنى الليل .. وأدخلنى المرداب

(فدمعى نسينهما عند الاعتاب

وبدأى نركبهما فوق الأبواب)

انك لا تدريين

معنى ان يمشى الانسان .. ويمشى ..

(بحثا عن انسان آخر)

حتى تتآكل فى قدميه الأرض ،

ويئوى من شغبه الفول !

الآف الوجة فى وجهى ..

لكنك لا تدريين

أى وجوه تتدلى منها بسمات الزيف

ضائعة المعنى ، متآكلة الانف

... ..

أرشق فى الحائط حد المطواة

والموت يهب من الصحف الملفاة

أنجراً فى المراة

يصغى وجهى المنخفى بفناع الذل

أصغى .. أصغى هذا الظل

كل الناس يفارقه ظلمهم عند الليل

الا ظلى

ينسل معى ، بنمدد فوق وسادى المبطل !

البسمة حلم

والشمس هى الدينار الزائف

فى طبق اليوم

من يحسح عنى عرقى فى هذا اليوم الصائف ؟

والظلل الخائف

ينمى من تحتى ، يفصل بين الأرض .. وبينى ا

... ..

وفضاءلت كحرف ماتت بأرض الخوف :

(حاء .. باء ..)

(حاء .. راء .. ياء .. هاء)

الحرف السيف

مازلت أروود بلاد اللون الداكن

أبحث عنه بين الأحباء الموق .. والموتى الأحباء

حتى يرند النبط الى القلب الساكن

لكن .. !!

... ..

وأخيرا عدت

أحمل فى صدرى صمت الطاعة

وهلا .. ساعة

ماجدوى الساعة فى نوم قد ففدوا الوقت ؟

ورجعت بدون كتاب غير كتاب الموت ،

وضجيج الناس

أغنية .. كقطب نعام :

« لم تولد لنهر الدنيا »

« لم تخلق لتخوض معارك ا »

« نحن ولدنا ..

للألم ..

للأحلام ..

للصلوات .. »

...

ضعنى فى صدرك .. حتى اتبأ

وأنا لا أكتب .. أو أفرا !!

نجمة السراب

صديقتي شددت على يدي ..
وقالت : لن أزورَ غُرفَتَكَ
إن شئت .. فلنلقِ معاً إلى الأبد .
ولم أَرُدْ
لأن ثوب العرس — في معارض الأزياء —
نجمة ندور في سراب .
ولم أزل أدقُّ باهأ بعد باب
وخطوئي تهيدة ، وأعيني ضباب
حني بلغت غرفتي في آخر المطاف
وفطنتي تلذذ ...
مواؤها : عذاب أنثى ليلة المخاض

... وأنخلد الجيران للسكون .
وأنتى وحيدة .. تلذذ .
وقطعهم بجلوس — في الشباك — ناعس العيون
يلعن في فرائه المنقط البياض
يلعن — عن فرائه — عذاب فطنتي الممتد
.. سعت اليه ذات ليل ،
ولم نسله ثوباً للزفاف !
لأن ثوب العرس
— في معارض الأزياء —
نجمة ندور في سراب !!

أبدوم النهر

أبدوم لنا بستان الزهر
والبيت الهاديء عند النهر
ان بسفط خاتمنا فى الماء
ويضع .. يضع مع النيار
ونفرقنا الأيدى السوداء ..
ونسير على طرفات النار ..
لا نجرؤ تحت سباط الفهر
ان نلقى النظرة خلف الزهر
ويغيب النهر .

أبدوم لنا البيت المرح
تتخاصم فيه ونصطليح
دقات الساعة والمجهول
تتباعد عنى حين أراك
وأقول لزهر الصيف .. أقول
لو ينمو الورد بلا اشواك
ويظل البدر طوال الدهر
لا يكبر عن منتصف الشهر
آه يا زهر ..
لو دمت لنا ..
أو دام النهر .

مقدمة بقلم الدكتور عبد العزيز المقالح ٥

مقتل القمر ٤٣

الاهداء ٤٥

براءة ٤٧

طفلتها ٥٠

المطر ٥٧

فلي والعبون الخضر ٦٠

باوجهها ٦٥

مقتل القمر ٦٨

شيء بحرق ٧٢

فالت ٧٥

ماريا ٧٧

استنرجي ٨٢

العار الذي نثبه ٨٥

رسالة من الشمال ٨٧

١٤٩	الموت في لوحات
١٥٣	بطاقة كانت هنا
١٥٧	ظماً .. ظماً
١٦١	الحزن لا يعرف الفراءة
١٦٤	بكائية الليل والظهير
١٦٩	اشياء تحدث في الليل
١٧٢	العشاء الاخير
١٨٠	حديث خاص مع ابي موسى الاشعري
١٨٦	من مذكرات المشي
١٩١	تعليق على ما حدث
١٩٣	في انتظار السيف ١
١٩٧	فترات من كتاب الموت
٢٠١	الحداد يلقي بفطر الندى
٢٠٥	صفحات من كتاب الصيف والشتاء
٢١٠	تعليق على ما حدث في مخيم الوحدات
٢١٣	مبتة عصرية

٩٢	اونوجراف
٩٤	شبيهتها
٩٧	العينان الخضراوان
	Petit Terianor
٩٩	الملهى الصغير
١٠٥	البكاء بين يدي زرقاء اليمامة
١٠٧	ديباجة
١٠٨	بكائية ليلية
١١٠	كلمات مبارنكوس الاخيرة
١١٧	الأرض .. والجرح الذي لا ينفخ
١٢١	البكاء بين يدي زرقاء اليمامة
١٢٧	البلول
١٣١	السويس
١٣٥	بوميات كهل صغير السن
١٤٣	اجازة فوق شاطئ البحر
١٤٦	موت مغنية مغمورة

اقوال جديدة عن سرب البسوس . . . ٣٢١

مقتل كليب . . . ٣٢٣

لا نصالح . . . ٣٢٤

افوال البمامة . . . ٣٣٧

مراثي البمامة . . . ٣٤١

اشارات نارنجية . . . ٣٤٩

نذيل . . . ٣٥٤

اوراق الغرفة (٨) . . . ٣٥٧

الورقة الاخيرة الجنوبي . . . ٣٦٠

ضد من . . . ٣٦٨

زهور . . . ٣٧٠

السرب . . . ٣٧٢

لعبة النهاية . . . ٣٧٥

ديسمبر . . . ٣٧٨

الطبور . . . ٣٨٣

الوقوف على قدم واحدة . . . ٢١٨

وياب . . . ٢٢١

حكاية المدينة الفضة . . . ٢٣٣

الضحك في دقبة الحداد . . . ٢٤١

الموت . . في الفراش . . . ٢٤٨

لا وقت للبكاء . . . ٢٥٥

العهد الآتي . . . ٢٦١

صلاة . . . ٢٦٥

سفر النكوين . . . ٢٦٧

سفر الخروج . . . ٢٧٤

سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس . . . ٢٨١

سفر الف دال . . . ٢٨٦

مزامير . . . ٢٩٨

من اوراق ابو نواس . . . ٣٠٨

رسوم في هو عربي . . . ٣١٥

خاتمة . . . ٣١٨

٣٨٧	الخبول
٣٩٣	مقابلة خاصة مع ابن نوح
٣٩٧	خطاب غير تاريخي على فير صلاح الدين
٤٠٠	بكتابه لصفر فريش
٤٠٤	فالت امرأة في المدينة
٤٠٨	الى محمود حسن اسماعيل في ذكره
٤١٣	نذيل
٤١٥	قصائد متفرقة
٤١٧	الى صديقه دمشق
٤٢٢	عشاء
٤٢٤	البطافة السوداء
٤٢٩	لا أبكيه
٤٣٢	العراف الاعمى
٤٣٦	نجمة السراب
٤٣٨	ابدوم النهر